

الرحلة السميطية

إلى الأراضي الحضرمية

وهي رحلة الإمام الداعية

الحبيب عمر بن أحمد بن سميط

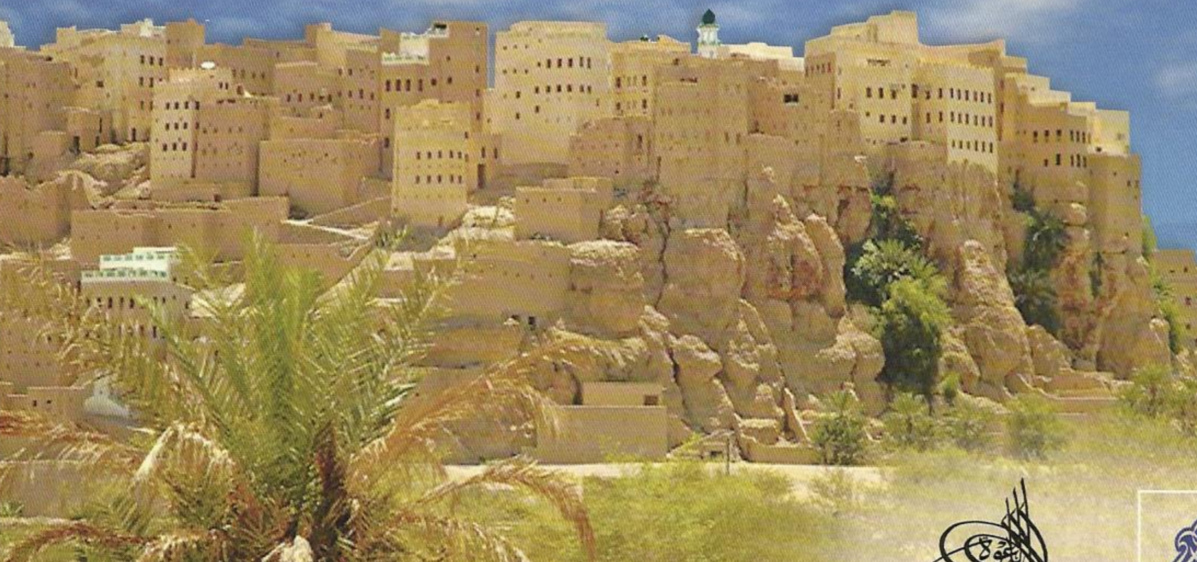
عام ١٣٨٧ هجرية

جمعها ودوّن أحداثها تلميذه

الشيخ محمد جبران بن عوض جبران الشبامي

علق عليها واعتنى بها

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب



1429

2008





الرحلة السميطية

□ الرحلة السميطية إلى الأراضي الحضرمية
جمع وتدوين : الشيخ محمد جبران بن عوض جبران الشبامي
الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

قياس القطع: ١٧×٢٤
الرقم المعياري الدولي: ISBN: ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-٠٨٤-٥
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : ٥٩٦/ ٣/ ٢٠٠٨



دار العلم والدعوة
الجمهورية اليمنية، تريم (حضرموت)
تلفاكس ٤١٩٣٣٦ (٠٠٩٦٧٥)، ص.ب ٥٨٠٧٦



دار الفتح للدراسات والنشر
هاتف ١٩٩ ٤٦ ٤٦ ٦ (٠٠٩٦٢)
فاكس ٦٢٠١ ٥١٥ (٠٠٩٦٢٦)
جوال ٤٦٧ ٩٢٥ ٧٧٧ (٠٠٩٦٢)
ص.ب ١٨٣٤٧٩ عمّان ١١١١٨ الأردن
البريد الإلكتروني: info@alfathonline.com
الموقع على شبكة الإنترنت: www.alfathonline.com

الرحلة السميطية

إلى الأراضي الحضرمية

وهي رحلة الإمام الداعية

الحبيب عمر بن أحمد بن سميط

عام ١٣٨٧ هجرية

جمعها ودوّن أحداثها تلميذه

الشيخ محمد جبران بن عوض جبران الشبامي

نزيل مدينة جدة

علّق عليها واعتنى بها

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

2008



دار الفتح للدراسات والنشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للّه الذي وفّق من شاء من العباد لنيل الخيرات والبركات، وخَصّ بعض عباده بأن أجرىٰ علىٰ أيديهم أصنافَ العطايا والهِبات، وجعَلهم أدِلّاءَ علىٰ الطريق الحقِّ الواضح المستقيم، الذي لا ٱعوِجاجَ فيه، بل هو المَحَجّةُ البيضاءُ التي ترَكَ الرسولُ المصطفىٰ ﷺ أُمته عليها، فله الحمدُ الجزيل، والشكر الوافر الكثير.

والصّلاةُ والسلام علىٰ خِزانة العلوم اللدُنّيّة، ومستودع الأسرار الرحمانية، وواسطة عِقد النبيين، ومقدَّم جيش المرسَلين، وقائد الغُر المحجّلينَ إلىٰ جناتِ النعيم، صلىٰ اللّه عليه وعلىٰ آلِه الطيبين المطهَّرين في مُحكم الذكْر الحكيم، وعلىٰ صحابته الذين شادوا الدِّين، وجاهدوا في اللّه حق جهاده حتىٰ أقاموا دولة الإسلام في شتىٰ الأقاليم.

أما بعد،

فهذا تقديمٌ متواضعٌ للرحلة المباركة التي قام بها شيخُ الشيوخ، سيّدُنا الحبيب العلاّمة عمرُ بن أحمد بن سُميط باعلوي، لمَواطن أهله وأسلافه الصالحين بالقطر الحضرَميّ في عام ١٣٨٧هـ، قادماً من ربوع جزائر القمر الإسلامية في شرق إفريقيا، حيث توطّنتْ أُسرتُه منذ حوالي مئة وثلاثين سنة.

وهذه الرحلـةُ هي الثالثـة(١) من رحلات هذا الحبيب الجليل، وكـان قد دوَّنَ رحلتَيْـه الأُولَيَيْـنِ بنفسِه إبّانَ قوّتِه ونشاطه، ثم جاءت هذه الرحلةُ الأخيرة وهُو يخطو إلىٰ سن التسعيـن، فوُفِّـق لصحبتـه أحد خَواصّه من أهل شِبـام، وهو الوالد الفاضل الشيخ محمّد جبران، أحدُ ثلاثة إخوة عقَدوا العزم والهِمة علىٰ خدمة هذا الإمام الجليـل، فنالوا مِن سرِّه وبركتـه وصالح دعَواته ما ظَهَر علىٰ أعمالهـمُ المباركـة وأخلاقهم الحميـدة، وهكـذا تُثمر صحبة الصالحين والأخيار.

وسوف أعـرِض في هذه المقدمـة إلىٰ ترجمـة لصـاحب هـذه الرحلـة: الحبيب عمرَ بن سُميـط، ثم ترجمةِ كاتب الرحلـة: الشيخ محمد جبرانَ وذكْرِ علاقتـه وإخوانه بالحبيب عمر وما جرىٰ بينهم من مُكاتَبات ومدائحَ وغيرِ ذلك مما يناسب المقام.

كذلك، سأترجم لكافّة الأعلام الواردة أسماؤهم بصُلب الرحلةِ حسَبَ المستطـاع، حيث إنّ هذه الرحلـةَ وقعت قُبيل وقوع الطامّة الكبرىٰ في الوادي الحضـرمي المبارك، ألا وهي: مداهمة الحـزب البغيـض المسمَّىٰ بالحـزب الاشتراكيّ الذي أذاق النـاسَ الأمرَّيْن، حتىٰ أذِنَ اللّه بالفـرج في هذه السنـوات الأخيـرة، وكان نتيجـةَ ذلك هجـرةُ الأفواج الكبيـرة من علماء الوادي وأدبائه وكُتّابه، وأهل الحَلّ والعقـد من عقـلاء الناس وحُذّاقهـم إلىٰ خـارج مَوطنهم بسبـب ما جرىٰ من أحداث سياسيـة تُدمي الفؤاد، فخَلَتِ المرابعُ من أهلهـا وبُدِّلت الأرضُ غيرَ الأرض والناسُ غيرَ الناس، فجهِلَ الكثير من أبناء الوادي

---

(١) أي ثالثةُ الرحلات التي كُتبت ودُونت أحداثها، وإلا فرحلاتُ الحبيب عمر وزياراته إلىٰ حضـرموت كثيرة ومتكرِّرة، وقد نبهني علىٰ هذا شيخـي وسيدي الحبيب العلّامة عبد القادر الجنيد نزيل دار السلام أحد كبار تلامذته، رحمهما اللّه تعالىٰ.

أعـلامَ الرجال الذين عاشـوا بين ظَهْرانَـيْهم في الزمان الماضي، وخاصّة مَن هاجر إلىٰ خارج الوطن، فرأيـتُ أنه يلزَم عليّ أن أترجم لهم وأعرِّف بهـم، مع ذكْر شـيء من شمـائلهـم ومآثرهـم ونحـو ذلك، وعلىٰ الله التُّـكْـلان، وهُو المستعان، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكّلتُ وإليه أُنِيب.

صلىٰ الله علىٰ سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلم

محمد أبو بكر باذيب

جدة.. في ٢٠/ ٤/ ١٤٢٠هـ

الحبيبُ عمرُ بنُ أحمد ابن سُمَيط
(صاحبُ الرحلة)

لا سبيلَ لنا في هذه العُجَالة إلىٰ التطويل والإسهاب في ترجمة هذا العلَم الشهير، ولكننا نقتصر علىٰ ما لا بدَّ منه في هذا المقام. ولم أرَ أحسنَ ولا أجملَ مما دبَّجته يَراعةُ سيّدي الإمام الحبيب أحمدَ مشهور الحدّاد رحمه اللّه في شيخه سيدنا الحبيب عمر في مقدمة رحلتَيْه الأُولَيَيْن[1]، فعلىٰ تلك الترجمة المعوَّل.

قال نفع اللّه به:

«هُو الإمام الحَبْر المَكِين، مَثل التقوىٰ والعلم والإخبات، وعُنوان السُّراة والكمال والثبات، صاحبُ الأيادي البيضاء في الكرم والإصلاح والإرشاد، ناشرُ الدعوة المحمّدية والطريقة السلفية في أكْناف البلاد، بلسانه وقدمه، وقلمه وكرَمه، منذُ نشأته إلىٰ آخر أدوار حياته: السيدُ الحبيب عمرُ بنُ أحمد بن أبي بكرٍ بن سُميط.

(١) انظر الترجمة في مقدمة «النفحة الشذية إلىٰ الديار الحضرمية» و«تلبية الصوت»، طبعة الشيخ محمد بن عبد الرحمن باشيخ (الأخيرة)، وقد أرّخ الحبيب أحمد مشهور ترجمته هذه في جمادىٰ الثانية عام ١٤٠٩هـ، أما الطبعة الأولىٰ للرحلتين فكانت في حياة الحبيب عمر علىٰ نفقة الشيخ أحمد جبران رحمه اللّه.

ولد عامَ ١٣٠٣هـ ببلدة (أتساندا) من جزر القمر ـ مُهاجَر العرب القديم ـ في بيئةِ علم وصلاح، ونشأ تحت رعاية والده الجِهبذ المَكِين أحمدَ ابن أبي بكر بن سُميط وحسُن تأديبُه.

وبدَت عليه مَخايلُ النَّجابة في سِنّ مبكر، واستصْحبَه والده إلىٰ حضرَموت مقرِّ أهله ببلدة شِبامَ الصفراء، فتخرج علىٰ أعلام الرجال الذين جمعوا بينَ العلم والعمل، وفي طليعتهم: الحبيبُ عيْدَروسُ بن عمرَ الحبشي، والحبيبُ علي بن محمّد الحبشي، والحبيبُ أحمد بن حسَنٍ العطاس، والحبيبُ محمد بن طاهرٍ الحداد، وعمُّه الحبيبُ عبد اللّٰه بن طاهر بن سميط، ووالده الحبيبُ طاهرٌ وغيرُهم من أعيان الوادي. فانطبعت فيه سِماتُهم، وحلّت عليه نظراتُهم، وجَدَّ بصدقِ الطلب في العلم والعبادة، وجذبتْه يدُ العناية إلىٰ مراتب السعادة، حتىٰ دخل في مَصَافِّ الكبار، وأصبح إليه بالبنان يُشار.

ثم عاد إلىٰ زنجبارَ لِتَقرَّ عينُه برؤية والده، وتقر عين والده به، فاستكمَل عليه وعلىٰ الشيخ العلاّمة الصالح: عبد اللّٰه بن محمّد باكثير معارفَه وعلومَه. ورأىٰ أنّ مسقِطَ رأسه (مروني) عاصمةَ جزائر القمر أحقُّ أن يُوافيَه الجزاء، وينشُرَ فيه علم الهدىٰ. فعاد إليه حاملاً رايةَ العلم، موزّعاً أوقاتَه في دعوة أهل المدن والقرىٰ إلىٰ الطريقة المُثلىٰ، ساعياً بقَدمه في تلك التلال الخُضْر أياماً ولياليَ عديدة، يدعوهم علىٰ بصيرة، حتىٰ ليَتعجّبُ الناظر إذا رآهم وهم بتلك الأصقاع النازحة متّسِمينَ بِسمةِ الصلاح، معتَزّين بدينهِم وشعاراتهمُ الإسلامية رغم ما يحاوله المستعمرون من إغوائهم وإفسادهم بشتىٰ الأساليب، وما ذاك إلاّ من فضل الدعوة الخالصة ورسوخها في الأعماق.

ورضيَ اللّٰه عن هذا الإمام، فقد كان شديدَ الاهتمام بدعوة الإسلام، فما

من داعٍ في تلك النواحي إلاّ وله معَه يدٌ: حسّاً ومعنىً، وكم أسلَمَتْ علىٰ يديه من طوائف، وهدىٰ اللّه به من الأُمة بشراً كثيراً!

ولمّا كنت في أوغاندا والكونغو مع فريق من الدعاة إلىٰ اللّه كان يمُدُّنا بحُسن الرعاية والتوجيه، ويخطّط لنا مناهج الدعوة ويقول: «بشِّروا ولا تُنفِّروا، ويسِّروا ولا تُعسِّروا». ويقول: ما مِن شيء أحبَّ إلىٰ اللّه ورسوله أقربُ إليهما من الدعوة إلىٰ سبيله. وتلك خُطة أهله وجَدِّه القطب الحبيب أحمد بن عمر بن سُميط، «شِنْشِنةٌ أعرِفُها مِن أخْزَم»[1].

ولقد كان المترجَم له من رجال الصلاح وأعلام الهدايةِ ومصابيح الاهتداء، الذين يرجِع إليهم الغالي ويلحقُ بهم التالي، ويسيرُ بهم الواقف ويكمُلُ بتربيتهم الناقص. وكان ممن نرىٰ فيه سمْتَ أسلافنا وبهجتَهم والثباتَ علىٰ هديهم وسيرتهم، فيجعلُنا نشعر بأننا في عصر أكابرهم نشاهدهم فيه، ونلتقط جواهر حِكمهم مِن فيه، ونستافُ عرفَ الولاية من شَمِيم سجَاياه[2]، ونقرأ آية المجد من كريم مُحَيّاه. وقد جمع ـ من صفات النبل والكمال ـ ما جمع القلوبَ علىٰ محبته والألسُنَ علىٰ الثناء عليه، فكل مَن رآه أجَلّه وأحبه، وترىٰ نظر رعايته وملاحظتِه مصاحباً شاملاً لكل مَن تعلّق به في سَدَاد أموره ونجاح مَقاصدِه وحُسن أدبه.

وكان يشير أنّ نظراته إكسير، ويقول: إن السُّلْحفاةَ تربّي أولادها بالنظر، وذلك أمرٌ محسوسٌ مشاهَد في مُؤيدِيه وأحبائه، بل في كل من نظر إليه بصدقِ ولائه.

---

(١) مثل يُضرب في قُرْب الشبَه في الخُلُق.

(٢) نستاف: نشُمّ، والعَرْف ـ بفتح العين ـ: الرائحة مطلقاً، وأكثر ما يُستعمل في الطيّبة منها. والشميم: إدراك الرائحة.

هـداةُ الـورىٰ طُـوبىٰ لعَبْـدٍ رآهمُ وجالَسَهمْ لو مرّة منهُ في العمُرْ

وقد قلتُ من قصيدة لي فيه:

للّـه مـن علـم! يَفـيءُ لِظلّـه كلُّ الورىٰ، وعلىٰ البِقاع يحُومُ
ما انفكَّ في فَلَكِ العُلا متنقّلاً يرعىٰ سَراهُ[١] الـواحـدُ القيّومُ
يمتَـدُّ منـهُ بسـابـقِ استعـدادِه نـورٌ بـأكْنـافِ الـوجـودِ عميمُ

وقد رأيت حرصَه الشديـد علىٰ تقصّـي آثار السلف والتمسك بخيَمِهم، فكان يواصـل رِحلاته علىٰ كِبَر سنّه وبُعد الشُّقـة: من شرق إفريقيا إلىٰ معاهـد أسلافه بحضرموتَ في أغلب الأعوام، يُمدُّ ويستمِدّ، ويضرب المثلَ العاليَ في التعلق والاتصال بهم، حتىٰ أهّلوه لخلافتهم وحمْل أمانة أسرارهم.

إلىٰ أن قال: ولقد شرَّف وظيفةَ القضاء والإفتاء، بحُسن النيابة عن جده المُشـرِّع الأعظم ﷺ، وكان عندما يحصل علىٰ إجازته السنوية يبادرُ بالتوجه إلىٰ زيارة أسلافه في حضرموتَ أو الحرمينِ الشريفين، يُمِدّ ويستمِدّ، ويغتنم الناسُ اجتلاءَ طلعته البهيّةِ الغراء، والتماس نفَثاته القدُسية، ودعَواته الصالحة، وعواطفه الكريمة.

وللمترجَـم له فتـاوىٰ ومؤلفات ورسـائـل، منها: «هدايةُ الإخوان شرحُ فتح الرحمن» في العقيدة، لجده أبي بكر، وهي مطبوعـة، كما أن له قصـائـدَ ومنظومـاتٍ شعريةً رائعة، وهي من السهل الممتنع، لم يتيسر بعدُ جمعُهـا في ديوان، وقد اشتملت الرحلة علىٰ نماذج منها[٢].

وقد استدار فلَكُ السعادة إلىٰ بلده (موروني) من جزائر القمر مسقِط رأس

---

(١) السَّراء: الشرف.

(٢) يعني الرحلة الأولىٰ التي جمعها الحبيب بنفسه، وليست هذه.

شيخنا ومثوىٰ جده أبي بكر، فتحول إليها وأشرق نورُه عليها، وحسدتها القرىٰ علىٰ مَحَطِّ رِحالِه بها، واستقرّ بها بدراً منيراً في بُرج كماله: يقيم الدروس، ويقوِّم النفوس، ويكرم الوفود، حتىٰ قعدت به القُوىٰ، وانطرح لحُكم القضاء، ودعاه مولاه فلبّاه، واستوفىٰ أجَلَه من هذه الحياة، في تسع صفرٍ سنة ١٣٩٧هـ، رحمه الله وأعلىٰ درجته في عليِّين، وأخلفه فينا بالخلف الصالح، آمين».

انتهىٰ ما دبَّجَه يَراعُ سيّدنا الحبيب أحمد مشهور رحمه الله، مع بعض تقديم وتأخير ويسيرِ حذف لا يُخلّ بالمقصود، ولله من شيخ وتلميذ عز في الوجود أن تلقىٰ لهما مِن نظير، رحمهما الله.

ومن الآخذينَ عن سيدي الحبيب عمر من أعيان أهل عصرنا شيوخُنا الأجلّاء: الحبيبُ القدوة عبد القادر بن أحمد السقاف، والحبيبُ أحمد مشهور الحداد، والحبيب عطاسُ الحبشي، والحبيب العلّامة عبد القادر بن عبد الرحمن الجُنيد نزيلُ دار السلام (تنزانيا)[1]، رحمهم الله تعالىٰ، والسيدُ محمّد سعيد البيض، والسادةُ آلُ جمَلِ الليل: السيدُ علي بن أحمد بدوي وإخوانُه؛ ولهم فيه مدائحُ وقصائد موجودة في دواوينهم، وغيرهم كثير.



(١) وقد ترجم له في كتابه «العقود الجاهزة» (مخطوط).

الشيخُ محمّدُ جُبران الشباميّ
(كاتبُ هٰذه الرِّحلة)

كان وجودُ الشيخ محمّد بن جبرانَ بنِ عوض بن أحمد بن جبران في بلدة شِبام بحضرموت عام ١٣٤٨هـ، وتربّىٰ في حِجْر والديْهِ الصالحَيْن، وكان والده كثير الأسفار إلىٰ عدنَ ونواحي إفريقيا الشرقية علىٰ عادة تجار ذلك الزمن، فقامت والدته، الحُرّة الصالحة (رقوانُ) بنتُ الشيخ عوض بن أحمد بن سالم صَلْعان، (المتوفاةُ سنة ١٣٨٦هـ) بتربيته، فأرسلتْه إلىٰ السيد عبد اللّه بن مصطفىٰ بن سميط إبّان تدريسه في زاوية المسجد الجامع بشبام، فتلقىٰ عنده مبادىء العلوم: من فقهٍ وعلوم الآلة التي كان السيدُ المذكورُ ذا باع فيها، ودرس كذلك في المدرسة الشرقية المعروفة باسم مدرسة النجاح، والتي سُمِّيت فيما بعدُ بمدرسة جبران، حيث قام أخوه الشيخ أحمدُ بترميمها بعد أن أُغلقت فترةً من الزمن.

وأما أخواه: عليّ وأحمد فقد درَسا وتعلّما علىٰ يد الشيخ القاضي محفوظٍ المصلي الذي كان يديرُ مدرسة النجاح بشِبام، وقد كان اتصالهم بسيدنا الحبيب عمر بن سميط كبيراً جداً، وكان هو رضي اللّه عنه يبادلُهُم المحبةَ والعطف والمودة.

وقد تكرّر ذكْرُ كاتب الرحلة وأخويه كثيراً في الرحلة المسماة «تلبيةَ

الصوت» للحبيب عمرَ المذكور، والتي كانت في سنة١٣٧١هـ. ومما جاء فيها من قصيـدة كتبها الحبيبُ زينُ بن حسـن بلفقيـه في وداع الحبيب عمر في تلك الرحلة مطلِعُها:

بفِراقِ مَن أهواهُ زادَ توَجُّعي وأثار نيرانَ الجوىٰ في أضلُعي

قال فيها بعد أبيات:

هذا، ونشكرُ آلَ جُبرانَ الذيـ ـنَ لهم فضائلُ لن تُنالَ لطامعِ
يلقَـوْن قاصدَهـم بوجـهٍ مُسفِرٍ ويحُـلُّ عندَهـمُ بأحسـنِ موقعِ
فرِحوا بمقْـدمِ سيّدي، فتراهُمُ فيما يشَـأْ مثْـلَ البنـانِ الطايعِ
فعلـيٌّ جبـرانٍ وأحمـدُ صِنْـوُهُ ومحمّدٌ، فازوا بخيرِ صَنايعِ
معَـهُ، وأدَّوْا فـوقَ واجبِهـم منَ الإكـرام ما يُطـرِبُ أُذْنَ السامعِ
جازاهـمُ المولىٰ بما يرجُونَهُ مِن كلِّ خيرٍ، بالجزاءِ النافعِ
وأمَـدَّهـمْ مِـن جُـودِهِ ونَـوالِـهِ لتَفيضَ أيديهم برِزقٍ واسعِ

٢ ــ وأمّا أخوه: الفاضل الشيخ عليّ جبران:

فهو من مواليد عام ١٣٣٩هـ تقريباً، وُلد بشِبام ومارس التجارة كوالده وإخوتـه في عدن، وكان سيدنا الحبيـبُ عمر لا يذكُـرُه في رحلاته إلاّ بقوله: «صديقنـا الشيخ علي» كما يرىٰ ذلك مَن طالَـعَ رحلتَـه المُومىٰ إليها. وكان قد كُفّ بصَرُه وصبـر علىٰ ذلك الابتلاءِ سنواتٍ طويلـةً تقرُبُ من العشر سنوات، فكان مثالَ المؤمن الصابر المحتسِب، وقد جلس في أُخريَـات أيامـه بمنزله بشبـام، وكان النـاس يقصِـدونـه بالزيـارة من (ترِيم) و(سيون) وغيرهمـا من البلدان، يستمِدّونَ مع دعَواته الصالحة، حتىٰ كانت وفاته بشِبام ليلةَ الجمُعة: ٨ ربيعِ الأول سنة ١٤١٩هـ، وأبّنه الحبيبُ سالمُ الشاطـريّ في جامـعِ شِبام، وسار في مقدمة المشيعين سيدي الحبيـبُ علي بن محمـد بن هـادي السقاف

وجمعٌ من السادة الأجلّاء أهل سيونَ وتريم.

٣ ـ وأما أخوهما الوالدُ الفاضل الشيخُ أحمد جبران:

فحدِّث عن البحر ولا حرَج، واسأل في طول البلاد وعرضها الحضارمة والحجازيِّين، فلن تجد ولن تسمعَ إلا ثناءً وترحُّماً علىٰ ذلك الرجل الكريم الذي كان يعطي عطاءَ مَن لا يخشىٰ الفقر، رحمه الله وأعلىٰ منزلته في الجنة، فقد كان رؤوفاً رحيماً كثير صدَقات السرّ، مولدُه بشِبام في **١٨** رجب **١٣٤١**هـ.

وكان الحبيب عمر يحبه كثيراً، وقال فيه في بعض رحلاته: «**وممن كان يُدخِل السرورَ علينا، بتردُّده إلينا: الشيخ أحمدُ جبران بن عوض جبران، وهو كثير التودّد إلىٰ الصالحين، شديدُ التعلق بهم**»[١].

ويكفيه ـ من رِفعة المنزلة ـ ما ابتُلي به قُبيلَ وفاته في فلَذاتِ أكباده، بوفاة عدد من أهل بيته منهم: ابنُه الأكبر صالحُ الذي كان عضُداً لوالده، واثنتانِ من بناته وحفيده، في حادث أليم وقع عشيّة الأحد، ثاني أيام عيد الفطر المبارك، من عام ١٤١٧هـ، بعد مغادرتهم أرضَ المدينة المنورة. ثم كانت وفاة الشيخ أحمد صبيحةَ يوم الجمُعة المبارك **٢١** شوال **١٤١٧**هـ.

وقد رثاه وأولادَه أخوه الشيخُ محمّد كاتب الرحلة بقصائدَ توجد في غير هذا الموضع.

وقديماً قال فيه الشاعرُ الكبير، والأديب الخطير، السيد عبدُ الله بنُ أحمد الهدّارُ من أُرجوزة (حُمَينية) نظَمَها عند اجتماعه بسيدنا الحبيب عمر في سَحِيل شِبام بمنزل آل باسُوَيْدان:

---

(١) «تلبية الصوت» للحبيب عمر (ص: ١٥٣).

وفي السِّحيلِ اجتمَعْنا　　　وبـاسـويـدانْ معْنـا
في البيتْ حَقُّهْ نزلْنا　　　جُبْران لُهْ حُسنُ إدلالْ

أحمـد أقـامَ الـوليمـهْ　　　ولَـهْ مـودّهْ قـديمـهْ
همتُـهْ همّـهْ عظيمـهْ　　　يَهْنـاه يَهْنا مـا نـالْ[(١)]

* * *

مدائحُ الشيخِ محمّد جُبران في الحبيبِ عمرَ بنِ سُميْط

منها: هذه القصيـدة، نظَمَها عندَ مقْدم الحبيـب عمـر إلىٰ عـدنَ عام ١٣٨٩هـ، متوجهاً إلىٰ الحرمين الشريفين:

بـالبِشْـرِ والإعـزازِ والإجـلالِ　　　تـمَّ اللقـاءُ بسيّـدِ الأبطـالِ
عمرَ بنِ أحمدَ شيخِنا وإمامِنا　　　بحرِ العلوم ومَضرِبِ الأمثالِ
والقُـدوةِ العُظمىٰ لأهـلِ زمانِـهِ　　　هُوَ نُسخةُ الأسلافِ للأجيالِ

ويقولُ في آخرِها:

فتـوجَّهـوا فـي كشْـفِ كـلِّ مُلمَّـةٍ　　　وكريهـةٍ عـن أرضِنـا فـي الحـالِ
أن يُبـدِلَ اللّـه الكـريهـةَ والشَّقـا　　　بـاليُمْـنِ والإسعـادِ والإقبـالِ
فلكَمْ علىٰ المولْىٰ الكريم وَجاهةٌ　　　حـاشـاه أن لا تـرجِعـوا بنَـوالِ
هذا، وأرجو الصَّفح عن أُنشودتي　　　فيمـا جـرىٰ فيهـا مـنَ الإخـلالِ
وإذا بـدَتْ فـي شكْلِهـا مقبـولـةً　　　فالفضْـلُ فيمَـن كـان فيـهِ مقـالي

ومنها: هذه القصيدةُ العذْبـةُ الرنّانـة، نظَمَهـا الشيخ محمّدٌ وألقاها بين

---

(١) المصدر السابق.

يديَ الحبيب عمر في مسقِط رأسه (مُرُونِي) عندما زاره في شهر جُمادىٰ الآخرةِ ١٣٩٥هـ:

خـوىٰ ربْعُنـا لمـا تـرحلْتُـمُ عنّـا أحبَّتَنـا والقلْـبُ من بَعْدكـم مُضْنىٰ
وسَـرَّ عَـذولي ما بحالـي مـنَ الضَّنا لأني حليفُ السُّقْمِ في الحسِّ والمَعْنىٰ

ومنها قولُه:

مُحِبٌ دنا نحوَ الحبيبِ لِيرتَويْ منَ المنهَلِ الصّافي، فقولوا لهُ: يَهْنا
فهـا قد كَرَعْنـا مِن حِياضِ ربـوعِـهِ فحمْداً لمَن أعطىٰ وشُكراً لمَن مَنّا

حتىٰ قال واصفاً تلك البلاد:

به (جُزُرُ الكُومُور) زانَتْ وبُورِكَتْ وبُورِكَ مَن فيها، فطابَ بها السُّكْنىٰ
بـلادٌ حباهـا اللّـهُ مِـن كـلِّ طيِّـبٍ تحُفُّ بنا الأشجارُ مِن حيثُ ما سِرْنا
بهـا ثَمـرٌ مِـن كـلِّ مـا لَـذَّ طعمُـهُ وطِيبُ شذا أزهارِها الشِّعرَ ألْهَمْنا
تـرىٰ أهلَهـا فـي هيئـةٍ هـاشميـةٍ كـأنَّ (مُرُونـي) من مدينتِنـا (الغنَـا)

ومن أبياتها بيتٌ قال فيه:

.... وغايةُ قصْدي قولُكُمْ: (أنتُمْ مِنّا)(١)

أخبرني الوالدُ محمّد جبران أنه لمّا وصل إلىٰ هذا البيت قال الحبيبُ عمر بصوتٍ خفيض: «أنتُمْ مِنّا» ثلاثَ مراتٍ، وكان إلىٰ جواره السيد عمر عبد اللّه بن الشيخ أبي بكر فسمِعَه، وهوَ الذي أخبرَه بذلك.

---

(١) في هذا إشارةٌ إلى حديث ضعيف أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣: ٥٩٨)، والطبراني في «الكبير» (٦: ٢٦١) وهو قوله ﷺ: «سليمانُ مِنّا أهلَ البيت». «كشف الخفا» (١: ٥٥٨).

وقال من قصيدة الرثاءِ التي نظَمَها عندَ تلقِّيه نبأَ وفاة شيخه، وألقاها بقاعة (بن لادن) بجدةَ حيث أقيم حفل العزاء علىٰ روح ذلك العلَم الكبير في ٢٠ صفر ١٣٩٧هـ:

إذا للخَلْقِ في الأمرِ اختيارُ   لَما فُقِدَ الأحِبّةُ والخِيارُ
نرىٰ الأحداثَ تترىٰ كلَّ يومٍ   علينا، ما لنا منها فِرارُ
فبالأمسِ القريبِ لقد سمِعْنا   منَ الأنباءِ ما فيه اعتبارُ
لهولِ وقوعِه صُعِقتْ قلوبٌ   وزُلزلتِ المعالِمُ والدّيارُ

ومنها:

ولو أنّ المدائنَ ناطقاتٌ   لأدْلتْ بالشهادةِ (زَنجَبارُ)
بما شهِدَتْه مِن أيام أُنسٍ   بها تمَّ الهناءُ والازدهارُ

ثم قال:

عزائي فيكَ: ما خلَّفْتَ فينا   منَ الأسفارِ، فهْيَ لنا مَنارُ
وفي الحدّادِ والسقّافِ ذُخْري   وآلِ سُميطِ: مَن في الدّربِ ساروا

وللشيخ محمد قصائدُ غيرُ هذه، نظَمَها وألقاها في أوقات ومناسبات مختلفة، فعساه يجمعُها في ديوان، لتأمَنَ من غوائل الضياع[١]، حفظه اللّه تعالىٰ وأطال عمُرَه في خير وعافية ووالدِينا وكافة شيوخنا وكلَّ ذي نفع لهذه الأمة.

* * *

(١) وقد جُمع شعر الشيخ محمد جبران، وطبع تحت مسمىٰ «ديوان ابن جبران»، وصدر عن دار الفتح للدراسات والنشر في طبعته الأولىٰ لعام ١٤٢٤هـ بعناية وتقديم كاتب هذه السطور.

هذه الرحلة

هيَ رحلةٌ أو قُلْ جولةٌ في ربوع وادي ابن راشدٍ لمدة أسبوعٍ واحدٍ فقط، بدَأتْ يومَ الجمُعة ١٣ ربيع الثاني ١٣٨٧هـ وٱنتهت يومَ الجمُعة ٢٠ ربيع الثاني.

وقد كان توقيتُ هذه الرحلة موفّقاً، حيث صادف الاحتفالَ بالذكرىٰ السنوية لوفاة الإمام عليّ بن محمد الحبشي بسيونَ المعروفِ بالحَوْل، وكذلك الاحتفال بذكرىٰ الحبيب الإمام عبد اللّه بن حسين بن طاهر بالمَسِيلةِ قُربَ تَرِيم، وقد زار الحبيبُ عمر كثيراً من أعيان وعلماء الوادي: في سيون، وتريم، وحضَرَ أغلب الاجتماعات العامة التي أقيمت في تلك المناسبات.

وكان كاتبُ الرحلة دقيقاً في وصفه وتتبُّعه لتحرُّكات شيخه الحبيب عمر، وتقييدِه للفوائد التي ينشرها في مجالسه الخاصة، وتسجيلِه لبعض الكلمات التي ألقيت في تلك الاحتفالات الكبيرة.

ابتهاجُ الحبيبِ عمرَ بهذه الرحلة:

لمّا فرَغَ الوالد محمّد جبران من تدوين هذه الرحلة، عرَضَها علىٰ الحبيب عمر قُبيل مغادرته حضرموت، فأبدىٰ استحسانَه لها، وطلب منها نسخة، فوقعَتْ موقِعاً حسناً عندَه، وقد عبّر رحمه اللّه عن ذلك بما جاء في رسالة منه، بعث بها للشيخ المرحوم عليّ جبران وإخوانه بعدن، قال فيها:

«من مروني إلىٰ عدن في ١٧ رجب ٨٩هـ:

إلىٰ المُحبّ **علي جبران بن عوض**.. كان اللّهُ له، وعليه جزيلُ السلام التام.

الرجـاءُ أنكم ومَن يلوذُ بكـم مِن أهـلٍ وأولاد بعافيـة، كمـا أننا كذلك، وقد سبـق إليكم خِـلافُ هذا. . . وأخبرْناكـم في خطّ (محمد) بوصـول السيد أحمـد مشهور، وقد توجَّه منذ أسبـوع إلىٰ (مَمْباسـه) معَ أصحابه الذين كانوا معه».

إلىٰ أن قال:

«والرحلةُ التي قيّدتهـا يا (محمد) عجيبة جَمّ، وفرِحنا بها مثلَ فرح السيد أحمد الحداد، ولا أدركت أمُرّ عليها إلاّ بعد سفرِه، فرأيتها ثمينة، وإذا أَلحَقَ السيد أحمد بها ما قيّده أخوك أحمد ما با تقوَّم بقيمة؛ لأنه اطّلع علىٰ ما قيّده (أحمد) في رحلته معي إلىٰ تريم بصحبة الولد عبد اللّه بن مصطفى[(١)].

وفي رحلة أحمد نسَبَ الكلام مني، وأما رحلة محمد فقد جعَلَ الكلام مِن قِبَلِه وأحسَن، وهذا علىٰ عجل، والسلام.

عمر بن أحمد بن سميط».

* * *

الرِّحلةُ المِصْرية

هناك رحلةٌ أخرىٰ قام بها الحبيب عمر إلىٰ حضرموتَ ومنها توجّه إلىٰ مصر، وقد رافقه فيها الشيخ محمّد جبران وكتَبَ مجرياتِها. وحاصلُ ما يقال عنها:

---

(١) لعل المقصود رحلتُه إلىٰ (تريم) و(دوعن) عام ١٣٧١هـ، وقد دُونت معظم أحداثها ومجرياتهـا في الرحلة المسمـاة «تلبية الصوت»، وقد طبعـت، فلعله أُضيفَ ما كتبه الشيخ أحمد إليها قبل الطبع.

إن الحبيبَ عمر بن سميطٍ قدم إلىٰ شِبامَ مرةً أخرىٰ بعد هذه الرحلة في سنة ١٣٩١هـ، وحضر زواجَ بعض أبناء آل جبران، ثم سار إلىٰ المُكَلاّ بعد ذلك، ومنها إلىٰ عدن، وهناك تحرَّكَ عزْمُه للسفر إلىٰ مصر للزيارةِ والعلاج، وكان الشيخ محمد معَه في تحركاته تلك بطلب من الحبيب عمرَ نفسِه، وكان معهم السيدُ مصطفىٰ بنُ علوي بُونُمَي المُلازمُ للحبيب والقائمُ بخدمته في كل الرحلات.

ولمّا علم الداعيةُ الكبير أحمد مشهور الحداد بوجود شيخه الحبيب عمر في مصر لحِقَ بركْبه ومعَه الشيخ حسين باسندوه: من جُدّةَ إلىٰ القاهرة، ولحق بهم أيضاً السيدُ عمر بن عبد اللّه بن الشيخ أبي بكر لمرافقة الحبيب في الزيارة، وقد دوَّنَ حفظه اللّهُ ما استطاع تدوينَه من وقائع هذه الرحلة، وهي لا تزال مسَوَّدة عنده، ولَسوف تخرُج إلىٰ القُراء إن شاء اللّه تعالىٰ عما قريب.



إجازةٌ منَ الوالدِ محمّد جبران للمعتني بهذه الرحلة

هذا، وقد قرأتُ طرفاً مِن هذه الرحلة علىٰ كاتبها ومؤلِّفها: الشيخ محمد جبران، فأجازنـي بما ورَدَ فيها من إجـازاتٍ عن الحبيـب عمـر وعن غيرِه من الشيوخ الذين تلقىٰ عنهم، وكتَبَ لي ما صورتُه:

«أُهدي هٰذه الرحلةَ للولد المبارَك محمّد بن أبي بكر بن عبد اللّٰه بن سالم باذيب، وحسَبَ طلبه منّي أن أُجيزَه فيما اشتملت عليه هذه الرحلةُ من إجازات، وغيرها من الإجازات، ومعَ أني لست أهلاً لأنْ أُجازَ فكيف بأن أُجيز.

واستجابـةً لرغبته، فإني قد أجزْتُه بما أجـازني فيه مَن التقيْتُ بهم، وفي مقدّمتهـم: سيدي الحبيـبُ الإمام عمر بن أحمد بن أبي بكرٍ بن سُميـط، راجيـاً من اللّٰه العليّ القدير التوفيقَ للعمل الصالح.

قاله محمّد جبران عوض جبران

يومَ الأربعاء الحادي والعشرين من شهر صفرٍ سنة ١٤١٦هـ

والحمدُ للّٰه ربِّ العالمين

وصلىٰ اللّٰه وسلَّم علىٰ سيد المرسَلين وعلىٰ آله وصحبه أجمعين».

* * *

نص الرحلة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للّه بنعمتِه تتِمُّ الصالحـات، والصّلاةُ والسلام علىٰ سيدنا محمّدٍ كاملِ الذاتِ والصّفات، وعلىٰ آله وصحبه الرّجال الكُماة.

أمّا بعدُ،

ففي يوم الجمُعةِ الثالثَ عشرَ من ربيع الثاني سنةَ ١٣٨٧هـ، تشرَّفَ وادي حضـرَموتَ وأهلُه بوصـول الحبيـب الإمام العلاّمة سيّـدي عمر بن أحمد بن أبي بكرٍ بن سُميطٍ قاصداً زيارةَ أهـل الوادي من الأحيـاء وأهلِ البرْزخ، قادماً من الشحْـر[١]، توجَّـهَ منها ــ بالسَّيارة ــ فجرَ يوم الجمُعـة المذكـور، ووصلَ إلىٰ الغُرَف[٢] عندَ خروج الناس من صلاة الجمُعة، وقصَدَ جامـع الغرف هُو

(١) كان الطريق البري، الذي يصل بين الساحل والداخل، هو الطريقَ المعروفَ بالطريق السلطاني أو طريـق آل الكاف، الذي قام بشقه السلطان صالح بمعونة السادة آل شيخ الكاف أثرياءِ (تريمَ) في وقتِهـم، وقد خربَ هذا الطريقُ اليوم وشُقّ طريق آخر، وهو الذي يمر بوادي العين ويخترق أهم قرىٰ الوادي ومدنه كسيون والحوطةِ وشِبام.

وقد تحدث الأستاذ محمد بن هاشم عن هذا الطريق في كتابه المطبوع المسمىٰ «رحلة الثغريْـن» يقصد بهمـا: الشحر والمكلا، حيث مرّ فيه بمعيـة السيـد أبو بكر بن شيخ الكاف لزيارة الساحل الحضرمي.

(٢) الغُرَف: هي بلدة صغيرة في موضع جميل، يحيط بها الفضاء الواسع من كل جهة. تتشعب عنها الطرق، فعلىٰ مقربة منها في شمالهـا تمر الطريـق السلطانية التي تجيء =

ومَن معَه، وهـم: السيد عمرُ بن عبـد اللّه عيديد، والسيـد مصطفىٰ بن علوي بُونُمَي، والسيد أحمد بن محمد بن علوي بُونُمَي، وصَلّىٰ الظهر والعصر جمعَ تقديم.

وكان في انتظاره ــ لمواجهتِه ومُلاقاتـه ــ من أهل شِبـام: الفقيرُ كاتبُ هذه الرحلة محمّد جبران بن عوض جبران، والشيخ أبو بكرٍ بن سالم باذيب[١] والشيخ عبدُ الرحمن بن عبد اللّه باجَرْش[٢].

وبعد أنِ استـراحَ قليـلاً في المسجـد، ركِـب السيّـارةَ هُو والمذكورونَ قاصدينَ شِبام، وفي طريقة إليها دخَل سيونَ وقصَدَ قُبّة الحبيب علي بن محمّد الحبشـي، فوجد الناسَ مجتمعيـن في القبةِ علىٰ قـراءة القـرآن. وكان من بين الحاضرين: الحبيبُ عبد القادر بن محمّد بن علي الحبشي[٣]، وطلب الحبيبُ

= من أعلىٰ حضرموت إلىٰ أسفلها، ومنها إلىٰ الجنوب: ممر الطريق المَهْيع إلىٰ الشحر والمكـلا وغيرهما من السواحـل، وهي من القرىٰ الحديثة. اهـ. من «إدام القوت» للعلامة ابن عبد اللّه السقاف.

(١) الشيخ الفاضل أبو بكر بن سالم بن عبد اللّه باذيب الملقب بـ(العصري). مولده بشبام ووفاته بالشحر عام ١٣٨٩هـ. كان من رجالات الدولة القعيطيةِ آنذاك، وابنتهُ تحتَ كاتب الرحلة.

(٢) الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن عبد اللّه باجرش الشبامي، مولده بشبام حوالي سنة ١٣٤٨هـ، درس في المدرسة الشرقية بشبام وبزاوية المسجد الجامـع لدىٰ السيد عبد اللّه بن مصطفىٰ بن سميط، وكان قريناً لخاله الشيخ محمـد جبران كاتب الرحلة ملازماً له من صباه، وكانت وفاته في مدينة أبو ظبي من الإمارات العربية المتحدة في ١٧ شوال ١٤١٩هـ، رحمه اللّه.

(٣) مولده بسيـون، تربّىٰ بوالده الحبيب محمـد بن علي (المتوفىٰ عام ١٣٦٨هـ) وتولى منصب مقام جده الحبيب علي بعد وفاة والـده، توفي (سنة ١٤٠٥هـ) وقام بالمنصب ابنه السيد علي بن عبد القادر، وهو مقيم بسيّونَ.

منه الفاتحة، واستأذن في الانصراف، ثم عرَجَ علىٰ دار الحبيب عبد القادر بن أحمدَ السقاف لمقابلتِه، فقابلَه وهُو علىٰ السيّارة.

وواصل السيرَ إلىٰ شِبام، وقصَدَ دار الفقير محمد جبران وإخوانِه، وكان ذلك حوالي الساعةِ العاشرة عصراً حسَبَ التوقيت المحلي [١]. وما أنِ استقرَّ به المجلسُ حتىٰ توافَدَ أهلُ شِبام لمواجهة الحبيب عمر والترحيب به وطلب الدعاء والفاتحة، وكان مِن بين المرحِّبينَ السادةُ آلُ سُميط.

❊ ❊ ❊

---

(١) وهو التوقيت الغروبي آنذاك.

وفي صباح يوم السبت ١٤ ربيع الثاني:

كان مِن بين المرحِّبينَ السادةُ الأجلاء: سقّافٌ وأحمد وحسنٌ بنو الحبيب زينِ بن حسَن بلفقيه(١)، وقالوا له: إنهم جاءوا لحَوْلِ العيدَرُوس بالحَزْم، ومن هناك علموا بوصوله، فدخلوا للترحيب بهِ فأهَّلَ لهم(٢)، ومما قاله متَّع اللّه به: أنّ جمْعَ حَوْلٍ: أحْوالٌ، وعسىٰ بسرِّ الاجتماع في الأحوال تصلُح الأحوال، أو ما هذا معناه.

وفي جلسةٍ معه في صباح ذلك اليوم، نظَرَ إلىٰ عِمامة السيد عبد اللاه بن سميط(٣)، وقال عنه: إنه من أهل السِّر، وذكَرَ أنه ذاتَ مرة كان

---

(١) الحبيب زين بن حسن بن محمد بن إبراهيم بلفقيه: من أعيان تريم ومن خواصِّ الحبيب عمر، وله من الأبناء النجباء: (علوي) الملقب حبشي، و(أحمد) الأستاذ الأديب القدير، أحد أركان جمعية الأُخوة والمعاونة بتريم. تنقّل في عدد من الأقطار حتىٰ وافته المنية بالمدينة المنورة سنة ١٤١٥هـ. والسيد (سقاف): أديب فاضل، كانت وفاته بمدينة الرياض، والسيد (حسن) أصغر أولاد أبيه، توفي بتريم قبل أخويه أحمد وسقاف، ورَثاه أخوه السيد أحمد بمرثية توجد في ديوانه المطبوع. وللمزيد من أخبارهم يراجع كتاب «إتحاف الطالب النبيه بمناقب السادة آل بلفقيه» (مخطوط) للسيد العلامة عمر بن علوي الكاف.

(٢) يقال: أهّل به: إذا رحّب به وقال له: أهلاً.

(٣) السيد عمر بن عبد اللاه بن عمر بن محمد بن الإمام عمر بن زين بن سُميط، مولده بشبام سنة ١٢٩٦هـ كما وقَفْتُ عليه بخط والده العارف باللّه الحبيب عبد اللاه بن عمر الذي رباه واعتنىٰ به. وتلقىٰ عن أخيه الحبيب محمد بن عبد اللاه المتوفىٰ سنة ١٣٢٠هـ، وكانت وفاة الحبيب عمر بشبام (سنة١٣٦٣هـ) وخلف ولدين هما: السيد=

سيدي الحبيبُ محمد بن عبد اللاه، أكبرُ أولاد الحبيب عبد اللاه بن عمر[1]، كان يُعاتبُ علىٰ أخيه عمر بن عبد اللاه، فسمِعه والده الحبيب عبد اللاه، وقال له: لا تعتَبْ علىٰ عمر، عادُه بايقع صاحب وقته.

ثم قال متَّع اللّه به: وهكذا سادتُنا وأسلافُنا، ما يفارق الدنيا إلا وقد اجتمعت فيه الأحوالُ كلُّها، وبعض الأحوال ما تحصل إلا بمجاهدة سنوات، ولكنها تجتمع لهم في لحظة.

وقال رضي اللّه عنه:

إن أهل البرزخ يعلَمونَ عن أحوالنا كلِّها، لا يخفىٰ عليهم شيء من أمورنا، واستشهد بما في دعاءِ برِّ الوالديْن في قوله: «ولا تبلِّغْهم من أحوالِنا ما يسوؤهم».

وجاء بواقعةٍ قال: كان الحبيبُ أحمد بن حسن العطاس طلب منه أحدُ الحبايب أن يعقِدَ علىٰ بنته تبرُّكاً، فوافق الحبيبُ أحمد علىٰ الطلب علىٰ نيتهم وعقد، فرأىٰ أحدَ الحبايب في تلك الليلة يقول له: عقَدْتَ علىٰ فلانة! ولكنِ استعجَلْتُم، ما قرأتُم الخُطبة[2]!! قال الحبيب عمر: حتىٰ مثلُ هذه الأمور

= أحمد بن عمر توفي بجدة سنة ١٤٠٢هـ، والسيد عبد اللاه: توفي بشبام في صفر ١٤٢٤هـ.

(١) الحبيب العارف باللّه عبد اللاه بن عمر، مولده بشبام وبها وفاته عام ١٣١٣هـ، أخذ عن أبيه الحبيب عمر بن محمد المتوفىٰ سنة ١٢٨٥هـ، وأدرك جدَّه لأُمه: الإمام شيخ الدعاة الحبيب أحمد بن عمر بن سميط المتوفىٰ سنة ١٢٥٧هـ، وأخذ عن الشيخ عبد اللّه باسَوْدان، والحبيب أحمد المحضار وغيرهما، له مكاتَبات مجموعة في مجلد ورسائل صغيرة في الوعظ والإرشاد، وامتدحه الكثيرون، وأخذ عنه طلاب العلم من أهل شبام وغيرها.

(٢) أي: الخُطبة التي تُقرأ عند العقد، التي هي من السُّنَن.

البسيطة ما تخفاهم.

وقال رضي الله عنه:

إنه اتّفق معَ خروجه لزيارة حضرموتَ مرةً من المرات أنْ طلَبَ منه أحدُ أهلِ بيتِه أن يُبلِغ صدقةً لقُبّة الحبيب علي الحبشي. قال: وكأني نسيتُ أن أُبلِغَها، ثم بعدَ ذلك عزموا على صدَقةٍ للشيخ معروف باجمال، فرأوا تلك الليلةَ ـ أهلُ البيت ـ في المنام الشيخَ معروف باجمال يقول لهم: «لا تقع الصدقةُ مثلَ صدقة الحبيب علي». وهذا مما يدل على أن أهل البرزخ يعلَمون عن أحوالنا.

وقال: إنّ أهل البرزخ في هذه الأحوال أعظمُ من الأحياء؛ لأن الروح مطلقةٌ وليست مرتبطةً بالجسد كالأحياء.

وحوالي الساعةِ الرابعةِ من صباح اليوم نفسِه:

خرَجَ مِن شِبام متوجّهاً إلى الحزْم لحضور حَوْلِ الحبيب الداعي إلى الله عيدروسِ بن حسينٍ العيدروس[١]، وكان فوْرَ وصوله شِبام تلقّى دعوة من السيد

---

(١) السيد الجليل العارف بالله: عيدروس بن حسين بن أحمد بن الإمام عمر بن أحمد العيدروس. مولده بالحزْم المأنوس في عام ١٢٤٤هـ، وطلب العلم أولاً بشبام على يد القاضي الشيخ محمد بن عبد الله بايوسف المتوفى عام ١٣٠٩هـ، وحفظ عندَه القرآن الكريم، ثم سار به والده إلى أنحاء وادي حضرموت ولم يترُك أحداً من أهل العلم والصلاح والتقوى إلا وألقى به بين يديه، طالباً منه الدعاء له والإجازة والإلباس. ومن أجَلِّ من أدركهم: الإمام أبو بكر بن عبد الله العطّاس، وكانت وفاته بحيدر أباد بالهند سنة ١٣٤٦هـ، وقد تجاوز المئة، وقد أسلم على يديه المئات، وتفصيل ترجمته وشيوخه في كتاب «صلة الأخيار» للسيد عمر بن أحمد بافقيه (مطبوع).

حسين بن أحمد العيدروس[١] لتناول طعـام الغداء في بيت الحبيب عيدروس، وقصَدوا دارَ الحبيب عيدروس معَ جمْعٍ كبيـر من المدعوِّين، منهم: الحبايب آل أحمد بن زين الحبشي، وآل عيدروس من الحزم، وآل السقاف من سيون.

وبعد تناول طعـام الغـداء[٢] خرجَ قاصـداً دارَ السيد صافي بن أحمد بن شيخ العيـدروس، فاستراح هناك حتىٰ وقت العصـر، وبعد أداء صلاة العصر خرجَ لحضور المَوْلد السّنوي الذي يقام في الباحةِ تحت دار الحبيـب عيدروس صاحـبِ الحَـوْل، وحضَرَ المولِـدَ جمـعٌ كثير من (تريـم) و(سيـون) و(شِبامٍ) والقرىٰ المجاورة.

وبعـد المقـام، قـام السيـدُ عبـد اللّه بنُ مصطفـىٰ بن سُميـطٍ[٣] وذاكَـرَ الحاضرين، وكان موضوعُ مُذاكرتِه الكرمَ علىٰ الآية الكريمة: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ

---

(١) السيد الشهيد الحبيب حسين بن أحمـد بن عيدروس بن حسيـن العيدروس، المقتول ظلماً علىٰ أيدي الظلمة الغاشمين أذيال الحزب الشيطاني الاشتراكي بحضرموت سنة ١٣٩٢هـ. كان الحبيب حسين من أهل الفضل والصلاح، وتولّىٰ منصب جدِّه الإمام عيدروس بن حسين المتقدمة ترجمته ببلدهم (الحزْم)، وله ذرية من ابنه السيد هادي المتوفـىٰ بسيون، (وهو ليس أخاً للحبيب جعفر بن أحمـد الذي توطن مدينة تريم، وسيأتي ذكره لاحقاً).

(٢) جرت العـادة في حضرموت أن يقدم طعام الغـداء في الزواجات ضحـوة النّهـار قبل صلاة الظهر.

(٣) السيد الأديب الخطيب المفوّه عبد اللّه بن مصطفىٰ بن عبد اللّه بن طاهر بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن محمد بن زين بن سُميط. مولده بشِبام ووفاته بها سنة ١٣٩١هـ، أخذ عن شيوخ عصـره بشبـام وتريم، ومن شيوخه: الإمام الحبيـب عبد اللّه بن عمر الشاطـري بربـاط تريـم، كانت له دروس في المدرسة الشرقيـة وفي زاوية المسجد الجامع بشبام، حيث كـان هو الخطيـب وتخـرّج علىٰ يديه أفواجٌ من أبناء الأهالي، منهم كاتب الرحلة.

بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ . . ﴾ [النحل: ٩] الآية. ثم تكلَّم عن مناقب الحبيب عيدروس صاحبِ الحَوْل فقال عنه: إنه من أكبر الدُّعاة إلىٰ الله في بلاد الهند، وأسلَمَ علىٰ يديه كثيرٌ من الناس. ثم بعد ذلك ندَبَ حالةَ الناس اليومَ وما هُم عليه من مخالفةٍ وعدولٍ عن سِيرِ أسلافهم الصالحين.

ثم تكلَّم بعد ذلك الحبيبُ الداعي إلىٰ الله عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف مُعقّباً علىٰ كلمة السيد عبد الله بن سميط، فأجاد وأفاد، وأشار إلىٰ وجود الحبيب عمرَ في هذا المَجْمع، وقال: إنه من أعظم النعم علىٰ أهل حضرموت.

ثم تكلَّم السيد حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله[1]. ثم بعد ذلك لقَّنَ الحبيب عمرُ الحاضرينَ الجلالةَ وختَمَ المجلس بالفاتحة، وكان ذلك حوالي الساعة ١١,٣٠ بعدَ العصر.

ثم توجَّه الحبيب عمرُ لزيارة جَرْب هَيْصَم[2]، فقصَد ضريحَ الشيخ القديم عبد الله بن محمد عبّاد[3]، وقرأ الحاضرونَ ﴿يسٓ﴾ ورتَّبَ الفاتحة. ثم

---

(١) هو السيد الأديب الشاعر حسن ابن مفتي حضرموت الأسبق العلّامة الشهير عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف. مولده بسيون، وتلقىٰ علومه ومعارفه علىٰ يد والده وغيره من شيوخ عصره، له دواوين شعرية طبع بعضها والباقي مخطوط موجود بأيدي أبنائه، توفي بسيؤون سنة ١٤٠٥هـ.

(٢) جَرْب هَيْصَم: هو مقبرة شِبام، إحدىٰ التُرَب المشهورة والمقصودةِ بالزيارة في حضرموت، ويقال: إن الذي أوقفها امرأة، وأقدَمُ مَن قُبر فيها الشيخ عبد الله بن محمد باعباد.

(٣) الشيخ الكبير عبد الله بن محمد باعباد المعروف بالقديم، وهو أول من سكن في بلدة (الحول) وبنىٰ بها غرفةً لسكناه فسمِّي ذلك الموضع فيما بعدُ بالغرفة ونُسِي الاسم الأصلي. وكانت وفاته بالغرفة سنة ٦٧٨هـ، وقُبِر بجرب هيصم، وضريحه معروف=

توجَّه إلىٰ مقبرة الحبايب آل سميط، وجلسَ تُجاهَ ضريح سيدي الحبيب محمّد ابن زين بنِ سُميط، وقرأ الحاضرونَ سورة يٓس. وبعدَ ذلك قرأ الفقيرُ محمد جبران الوسيلةَ المشهورة[١] للحبيب محمّد بن زين بن سميط، ثم رتَّبَ الحبيبُ الفاتحةَ، ثم عاد إلىٰ الحزْمِ إلىٰ بيت السيد صافي بن أحمد العيدروس، وتناول العشاءَ وبات عندَه.

❋ ❋ ❋

= يزار، وهو أحد تلامذة الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، ويروىٰ أن الفقيه لم يكن يبدأ درسه حتىٰ يحضر.

(١) وهي التي مطلعها:

سألتُك يا مَولايَ تفريجَ كُربتي

وكان الإمامُ محمد بن زين قد نظمها عندما هجم جيش المكرمي القادمُ من نجران إلىٰ شِبام سنة ١١٧٠هـ وحاصرها وضيَّق علىٰ أهلها الخناق، فنظم هذه القصيدة متوسلاً إلىٰ الله بعباده الصالحين في كشف تلك الملمة.

وفي صباح يومِ الأحد ١٥ منه:

توجَّه الحبيب من الحزْم عائداً إلىٰ شِبام لحضور حفلة زواج آل (حَمْ) (من دَلَلِ شِبام) وقد اتّفق ذات مرة، أثناءَ زيارته لحضرموت، أن صادف زواجَ أحد أولاد آل حَمْ المذكورين، ثم حضرَ «الكِلانَ»[1] إلىٰ عند الحبيب عمر، فسأله عن اسمه، فقال: «كرامه»، فتبسَّم الحبيب للرد بلفظ «كرامه».

ثم توجَّه إلىٰ بيت آل جبران، وقُبيلَ المغرب توجَّه من شِبام قاصداً سيون، ليتجِّه بعد ذلك إلىٰ المَسِيلة لحضور حوْلِ الحبيب عبد الله بن حسين ابن طاهر.

وفي طريقه إلىٰ سيون مرَّ بحَوطةِ الحبيب أحمد بن زين الحبشي، وقد سبق له وعْدٌ لبعض الحبايب أن يمُرَّ عليهم في بيوتهم، فقصَدَ بيت السيد عبد الله الصادق الحبشي[2]، وسأل عن السيد حسن بن صالح الحبشي[3] ولم

---

(١) الكِلاَن: يقصد به الزوج.

(٢) الحبيب الفاضل عبد الله بن محمد الصادق الحبشي، مولده بحوطة جده الإمام أحمد بن زين سنة ١٣٣٧هـ كما أخبرني بنفسه. أخذ عن كثير من الشيوخ: بالحوطة وتريم وسيون والحجاز، وهو مقيم بجدة، وكان أيام نشاطه يؤم الناس في مسجد (بارشيد) بحي العمارية حتىٰ اشتُهِر هذا المسجد باسمه بعد ذلك فيقال له: مسجد الحبشي، ثم ضعُف وشاخ ولم يزل يتردد عليه طلاب العلم ويغشىٰ المجالس العلمية حتىٰ أقعده المرض في منزله بجدة، توفي بالمكلا سنة ١٤٢١هـ.

(٣) هو السيد حسن بن صالح بن عمر بن أحمد الحبشي، توفي بمكة المكرمة سنة ١٤٠٨هـ. (عن السيد محمد شيخ الحبشي).

يجدْه في بيته، ثم مرَّ علىٰ بيت السيد عبد القادر بن سالم الحبشي[١]، فقيل له: إنـه بسيون، ثم توجَّـه إلىٰ زيـارة المنصِـب الحبيـب عبد الرحمـن بن حسـن الحبشي[٢] إلىٰ بيته في الشِّعب، وطلب منه الفاتحة.

وواصَـل سيـره إلىٰ سيون، ووصلهـا أولَ العشاء، وقصَدَ بيتَ الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف[٣] يُرافقُه السيد عبد اللاه بن عمر بن سُميط والشيخ عبد الرحمن قَطَن[٤]، وعبد الرحمن باجرش، والفقيرُ محمّد جبران ــ الجميعُ من شِبام ــ والسيد عيديد وبونمي من الشحر.

---

(١) السيد الفاضل عبد القادر بن سالم بن طه بن علي بن محمد بن أحمد بن الإمام أحمد ابن زين الحبشي. مولده بالحوطة المباركـة وبها وفاته سنة ١٣٩٧هـ، تلقىٰ عن أبيه الحبيب سالم الذي تولىٰ منصب جده الحبيب أحمد بن زين.

(٢) كانت وفاته بالحوطة سنة ١٣٩٧هـ. (عن السيد محمد شيخ الحبشي).

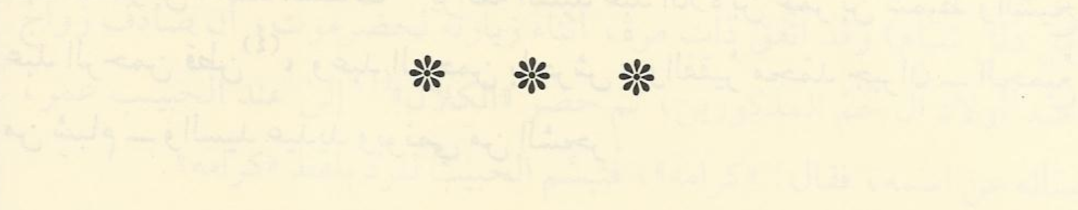
(٣) الحبيب الإمام والسيد الهُمَام، الحسيب النسيب عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن ابن علي بن الإمام عمر بن سقاف، عين أعيان السادة العلويين، الحقيق بقول القائل:

أتتْـهُ الخـلافـةُ مُنقـادةً ... إليـه، تُجرجـرُ أذيـالَهـا
فلـم تَـكُ تصلُـحُ إلاّ لـهُ ... ولم يَـكُ يصلُـحُ إلاّ لهـا

ذو لسـان عـذب في الدعـوة إلى اللّه تعالىٰ، وهو ــ إلىٰ جانـب فقهـه الغزير وعلمه الكثيـر ــ أديبٌ وشاعر مطبوع. أمّا أخـذه فعن أكابـر علماء عصـره الذين لم يَسمَح الزمان بعدَهم بأمثالهـم، مولده بسيـون سنة ١٣٣١هـ، وهو اليوم نزيل مدينـة جدة يستقبـل الضيوف والواردين عليه من الأقطار زُرافاتٍ ووُحْدانـاً، نفع اللّه به وأطال عمـره في خير وعافية.

(٤) الشيـخ عبد الرحمن بن يسلم قَطَن، من فضلاء شبـام. طلـب العلم بمكـة المكـرمة وشبام، وله شيوخ عديدون، سكن شبام آخرَ عمُره واعتنىٰ بتحصيل الفوائد العلمية، ولـه مجاميعُ حشاهـا بالفوائد الثمينـة، كان رجلاً صالحـاً خامل الذِّكر، توفـي سنة ١٣٩٧هـ، رحمه اللّه.

وكان الحبيبُ عبد القادر بن أحمد في قُبة الحبيبِ علي للقراءة بمناسبة الحَوْل. ثم وصَلَ الحبيبُ عبد القادر، واستقبل الحبيب بغاية من البِشر والفرح والسرور، وقد كان الحبيبُ مُتعَباً من مواصلة السير في الطريق، فتهيأ للنوم.



وبعد أن صلّىٰ صَلاةَ الصبح من يومِ الاثنين ١٦ منه:

قـرأَ عليه الحبيبُ عبد القادر نُبـذةً للشيخ عمر بامَخْرمـة في تفسيـر آيـة الكرسـيّ[1]، وتكلَّـم علىٰ لفظ الجلالـة بكلام عجيـب، ومما قالـه في لفـظ الجلالة: أنّ سرَّ القرآن في لفظ الجلالة، وجعَلَها الدائرة لأسماء اللّه الحسنىٰ.

وبعد الانتهاء من قراءتها، تناول الحبيبُ طعامَ الإفطار هو والحاضرون، ثم استـراح بعدَ ذلك قليلاً. ثم برزَ الحبيـبُ للجلوس، وكان علىٰ رأس الذين جاءوا لمُقابلة الحبيب عمر: الحبيبُ العلاّمة، العاملُ بعلمِه، سيدي أحمدُ بن موسىٰ الحبشي[2]، فتَعانَقا عِنـاقَ المحبة والأُخـوّة، ثم حضَرَ السيد عبد القادر ابنُ محمّـد بن طه السقافُ، والسيـد علي بن عبـد اللّه السقـاف (القـاضـي)[3] وغيرهما. وكانت جلسةً مباركة، تذاكَرَ الحاضرونَ فيها سيَرَ الأسلاف الكرام.

---

(١) واسم هذه النبذة: «الوارد القدسي في تفسير آية الكرسي» محفوظة بمكتبة الحبيب عبد القادر بسيون كما أخبرني الأخ الفاضل السيد خالد المساوىٰ.

(٢) الحبيب أحمد بن موسىٰ بن عمر الحبشي، ميلاده سنة ١٣١٧هـ، ووفاته بسيون سنة ١٣٩٨هـ. أخذ عن شيوخ عصره ومصره، منهم: الحبيب محمد بن هادي السقاف وقد لازمه مدة طويلة. وقد خلفه في علمه وورعه وصلاحه ابناه الفاضلان: محمد وجعفر. وقد توفي سيدي الحبيب محمد بسيون في محرم سنةَ ١٤١٩هـ، رحمه اللّه تعالىٰ، وبموته فقَدَت سيونُ أحد علمائها الذين لا يعوَّضون.

(٣) السيـد الأديب المِفضال، الحبيب علي بن عبـد اللّه بن حسيـن بن محسن بن علوي السقاف. مولده بسيون سنة ١٣٣٦هـ. أخذ عن والده وعن مفتي حضرموت العلاّمة ابن عبيد اللّه، وبنىٰ بسيون مسجداً سمِّي باسمه، وأقام بجدة وبها كانت وفاته في ذي القعدة ١٤٢٢هـ.

ثم بعدَ ذلك قام الحبيبُ متوجِّهاً إلىٰ دار السيد أحمد بن حسين السقاف لزيارة إحدىٰ بنات آل سُميطٍ هناك.

ثم توجَّه لزيارة الحبيب محمد بن طه السقاف (شيخٌ مُسِنٌ في السابعة والتسعينَ من عمُره)، وبصحبته الحبيبُ أحمد بن موسىٰ والسادة آل السقاف، وكانت جلسةً مباركة أنشَدَ فيها الحادي باصالح قصيدتيْن من قصائد الحبيب علي الحبشي.

وفرِحَ الحبيب محمد بن طه بقدوم الحبيب عمر. وقبْلَ الانصراف، قدَّم السيد محمّدٌ المذكور الخريفَ (الرُّطَب) والحلوىٰ والقهوة، وأطعم الحبيبُ محمّدٌ الحاضرينَ الرُّطَبَ والحلوىٰ علىٰ عادة السلَف، كما أطعم الحاضرينَ أيضاً الحبيبُ عمر.

[مُذاكَرةٌ عِلميّـة]:

ثم عاد إلىٰ بيت السيد عبد القادر بن أحمد السقاف لتناول طعام الغداء علىٰ مائدتِـه، وحضَرَ علىٰ رأس المدعوِّيـنَ الحبيبُ العلّامـة أحمد بن موسـىٰ الحبشـي، والسيـد عبـد القادر الرُّوش[١]، والسيـد محمّـد بن عبـد الرحمن السقاف، وكانت جلسـةً مباركـة قُرِىءَ فيها بعـضٌ مِن كـلامِ السلَـف مـن رحلة الحبيب عمـرَ بن سقافٍ إلىٰ شِبام في أول ربيع الأول سنة ١١٧٢هـ، قال:

«حصَلَت المذاكرةُ معَ سيدي الشيخ علي بن عبد الرحمن بن سُميط[٢]،

(١) السيد العلامة مفتي سيون: عبد القادر بن سالم الرُّوش السقاف. ولد بسيئون وتوفي بها في سنة ١٤١٥هـ، أخذ عن شيوخ عصره كابن عبيد الله والحبيب محمد بن هادي وغيرهما، تولىٰ إفتاء سيون، وكان يستحضر نصوص «التحفة» وغيرها من كتب المذهب عن ظهر قلب.

(٢) هو العالم الفاضل الفقيه علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن سميط، =

ذاكَرتُه في مسائلَ نحوِ ثمانٍ، وحضر ذلك القاضي أحمدُ باعشره. ومن جملة ما سألتُهما عنه قولُ الشيخ[1] في «الفتح» ــ ممزوجاً «بالأصل» ــ: «**فيبطُلُ بيعُ صُبْرةٍ بصُبْرةٍ لا مُكايَلةً أو كَيْلاً بكيْل**»: ما الفرقُ بينَهما في الكيفية؟ فبقيا يتجادلانِ فيها، ثم قالا: لعلّ قولَه: «**مكايلة**»: بعتُكَ هذه بهذه مكايلةً، وقوله: «**أو كيْلاً**» إلخ.. كبِعتُك بعضاً كيْلاً من هذه بكيْلِ بعضٍ من الأخرىٰ. انتهىٰ. ولم يطمئنَّ الخاطرُ بما قالا وإليه مالا. انتهىٰ»[2].

واستمرت الجلسةُ علىٰ هذا الحال إلىٰ العصر، وبعدَ الصّلاة توجَّه

= كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، توفي بتريم سنة ١٢٣٠هـ، سكنت أسرته (المحيضرة) من ضواحي تريم وتوطنوها. «الفرائد الجوهرية» للكاف (٣: ٧٨٨) ترجمة (١٣٦٩).

(١) قوله: «الشيخ»: هو الإمام الفقيه الشهير أحمد بن حجر الهيتمي تلميذُ الإمام محمدٍ الرملي الكبير وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، له مصنّفات عديدة من أشهرها «تحفة المحتاج شرح المنهاج» وهي معتمَد المتأخّرين من فقهاء حضرموت، توفي سنة ٩٧٤هـ.

وقوله: «الفتح»: هو «فتح الجواد شرح الإرشاد»، ويريد بالأصل: المتن وهو «إرشاد الغاوي إلىٰ مسالك الحاوي» للإمام إسماعيل المقري الزبيدي، توفي سنة ٨٣٧هـ.

(٢) عبارة الشيخ ابن حجر في «فتح الجواد» ممزوجةً بالمتن (١: ٣٨٦) هكذا: (**فيبطُلُ بيْعُ صُبْرةٍ**) مِن رَبَويٍّ مَكيلٍ (**بصُبْرةٍ**) مِن جِنْسها جُزافاً وإن خرَجَتا سَواءً، (**لا**) بَيْعُ صُبْرةٍ مِن رَبَويٍّ مَكيلٍ مِن جِنْسِها (**مُكَايَلَةً**) أو كَيْلاً بِكَيْل، (و) الحالُ أنّهما قد (**تَسَاوَيا**) أي: خرَجَتا سَواءً في الكَيْل؛ لأنّ الغرر في هٰذا أقلّ، فإن خرَجَتا غيرَ مُسْتَوِيَتيْنِ لم يصِحّ؛ لأنه قابَلَ الجُمْلَةَ بالجُملةِ وهُما غيرُ مُسْتَوِيَتيْن». اهـ.

والصُّبرة: بضم الصاد: الكومة من الطعام كما في «المغني» (٢: ١٦). وهذه المسألة مذكورة في شروط البيع في المسائل المتعلقة بالشرط الخامس وهو العلم بالبيع، فمن أراد الاطلاع علىٰ تفاصيل أقوال الفقهاء فلْيرجع إلىٰ كتب المذهب «كالمجموع» وأمثاله.

الحبيبُ من (سيون) قاصداً المَسِيلة، ووصَلْنا آخِرَ العشِيّة، وقصَدْنا بيت الحبيب أحمد بن عمر بن يحيىٰ[(١)]، واستقبلَنا السيد الفاضل الشاعرُ سالم بنُ عبد القادر العيدروس، وعلِمنا منه أن صاحب البيت ـ وهو السيد أحمد بن حامد بن يحيىٰ ـ خارجَ المَسِيلةِ لحضور وليمةِ زواج في القرية المجاورة، واستراح الحبيبُ من تعب الطريق.

وقُبيلَ المغرب التحق بركْبِ الحبيبِ: السيدُ الفاضلُ محمّدُ بن علوي بُونُمَي، وصل من عدنَ عن طريق البرّ بالسيارة، وبعدَ أن وصل شِبامَ قيل له: إنّ الحبيبَ بسيونَ في طريقِه إلىٰ المسِيلة، فواصلَ السيرَ إلىٰ المسيلة ويصحَبُه من شِبام الشيخ أبو بكرِ بنُ سالم باذيب (من أصدقاء الحبيب عمر ومحبيه المخلِصين)، وكذلك الشيخُ عبد الرحمن بن عبد الله باجرش.

وقبل تناول العشاء حضَر السيد أحمد بن حامد ورحَّب بالحبيب وبقيّةِ الحاضرين، وأبدىٰ أسفَه علىٰ تغيُّبه وقتَ وصول الحبيب، وقدّم العشاء، وبعدَ ذلك أخَذَ كلٌّ مكانَه للنوم، واستيقَظ الجميع لصلاة الصبح.

وبعد الصّلاة، خرج الحبيب عمرُ ومَن معَه إلىٰ ضريح الحبيب عبدالله ابن حسين بن طاهرٍ[(٢)] وسَطَ جمع عظيم من الناس مِن سادات (تريمَ) و(سيون)

---

(١) السيد أحمد بن عمر بن الإمام عبد الله بن عمر بن يحيىٰ، مولده بتريم وبها وفاته سنة ١٣٥١هـ، كان غنياً موسراً وقصْره بتريم مَعْلَم أثري، وهو المعروف بـ(المُنَيصُورة).

(٢) السيد الجليل الإمام العارف بالله عبد الله بن حسين بن طاهر باعلوي. مولده بتريم سنة ١١٩١هـ، ووفاته بالمسيلة في ١٧ ربيع الثاني ١٢٧٢هـ. أخذ عن طبقة عالية من الشيوخ الأكابر، كالحبيب عمر بن سقاف، والحبيب حامد بن عمر حامد. ترجمته في «عقد اليواقيت» لتلميذه الإمام عيدروس بن عمر الحبشي، ومناقبه ـ وهي التي تقرأ يوم الحوْل ـ هي من جمع سبطه السيد طاهر بن أحمد بن طاهر.

والقرى المجاورة، وتُلي الذّكْر و«المناقبُ» والفاتحة حسَبَ العادةِ السنوية إلىٰ روح صاحب الذكرىٰ.

وبعدَ ذلك، تكلَّم السيد محمد بن سالم بن حفيظ، وذكَّرَ الحاضرين، وكانت كلمةً جامعة، وأرشد الحاضرينَ إلىٰ التمسك بالقرآن وآداب القرآن.

ثم أعقبَه السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف، وأشبَعَ الفصلَ من مُذاكرتِه في سِير السلَف الصالح وما كانوا عليه منَ الاستقامة التامة، وقارَنَ بين أهل الوقت اليومَ وما هم عليه من التأخُّرِ في الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، والمخالَفةِ لسِير أسلافهم وتولُّعهم بالتُّرَّهَات، وتكلَّم بعد ذلك علىٰ مناقبِ الحبيب عبد اللّه بن حسين بن طاهر، وما له من الأذكار وتوزيع الأوقاتِ ممّا أبهَرَ الحاضرين، وخُتِم الحفلُ بالفاتحة.

وأخذ كلٌّ يتأهّبُ للرحيل إلىٰ بلده، وبقي الحبيبُ عمرُ واقفاً عند الضريح يستقبِلُ الزائرينَ للتبرك به وتقبيل أياديه. وشعَر الحبيبُ بعد ذلك بالتعب من طول قيامه، فأحبّ أن يستريح بالجلوس قبل الرحيل، فجلس في الباحةِ أمامَ بيت الحبيب أحمد بن عمرَ بن يحيىٰ حيثُ الظلُّ الوارف هناك، فمال الحاضرونَ إلىٰ حيثُ جلَسَ الحبيب عمرُ وجلسوا حولَه، وكان من بينهم الحبيبُ عبد الرحمن بن طاهر [1] أحَدُ أحفاد الحبيب عبد اللّه بن حسين والقائمُ في مقامِه، وأحضر السيد المذكور مِسبحَةَ الحبيب عبد اللّه بن حسين وإناءَ شُربِه والنعالَ الأثريَّ الذي لبِسَه الحبيبُ القطب حسَنَ بن صالح

---

(١) السيد الفاضل عبد الرحمن بن طاهر بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن حسين بن طاهر. ولد بالمسيلة ودرس بتريم في مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة، ابتعث إلىٰ العراق مع مجموعة من طلاب المدرسة المذكورة لمواصلة التعليم في إحدىٰ جامعات بغداد العريقة، سكن بلدة (مريمة) وبها توفي سنة ١٤٢١هـ.

البحر[١]، وقصة ذلك معروفةٌ مشهورة، ولتمام الفائدة، سنُورِدُها هنا، وهي:

أن الحبيبَ حسنَ بن صالح جاء لزيارة الحبيب عبد اللّه إلىٰ بيته بالمَسِيلة، واتفق أنّ الحبيبَ حسن أراد أن يذهب إلىٰ بيت الخلاء، فوجَد نعالَ الحبيب عبد اللّه عند الباب فلبِسَها، وبعدَ خروجه أخبرَ الحبيب أنه لبس نعاله عِلْماً برضاه، فاستبشَرَ الحبيب عبد اللّه وشرِبَ بذلك مَشرَباً حسناً، وقال ما معناه: إنّ هذا النعالَ يجبُ أن لا يُلبَسَ بعد أن مسَّتْه رِجل الحبيب حسن. وأبقاه واحتفَظ به تبركاً، وبقي إلىٰ يومنا هذا عندَ أحفاده، وسيبقىٰ إلىٰ ما شاء اللّهُ بعد ذلك. ويرجع تاريخ هذه الحادثة إلىٰ ما قبلَ مئة وعشرين سنة.

وأخذَ الحبيب السّبحةَ التي كان مِن وِردِ الحبيب عبد اللّه كلَّ يومٍ من «لا إلهَ إلاّ اللّه» خمسةً وعشرينَ ألف مرة (٢٥٠٠٠)، ولبِسَها علىٰ عنُقِه تبركاً، وتأثّر عندَ أخْذها ولُبسها وبكىٰ بكاءً شديداً ما رأيتُه بكىٰ مثلَه في كثير من زياراته التي صحِبْتُه فيها، ولعله كان من بكاء الفرح لهذه الفرصة الثمينة التي مكّنتْه من مشاهدة ومُلامسة تلك الآثار الطاهرة. وبعدَ ذلك، أخَذَ النعالَ وقبَّلَه وتبرَّكَ به، وشرِبَ في الإناء، وفعل كذلك الحاضرونَ حولَه كلُّهم، وكان عددهم يتراوح بين الخمسين، من بينهم الحبايب آل السقاف من (سيون)، وبعض سادات (تريم).

ورتَّب الحبيب الفاتحة، وأجاز الحاضرينَ في الدعاء بعدَ قراءة الفاتحة، وهو: «اللهُمَّ يا أوّلَ الأوّلين ويا آخِرَ الآخِرين، يا ذا القوّةِ المتين، ويا راحمَ المساكين، يا أرحمَ الرّاحمين». وقبِلَ الحاضرون الإجازة، وكانت لحظةً من

---

(١) السيد الإمام العارف باللّه الحسن بن صالح البحر. مولده بالحوطة ووفاته ببلدة ذي أصبح سنة ١٢٧٣هـ، وقد أفرده بالترجمةً شيخه المعلِّم الشيخ عبد اللّه بن سعد بن سمير في كتابه *«قلادة النحر» (مخطوط)*.

أسعد اللحظات لدىٰ الحاضرينَ جميعِهم، حيث فازوا بالتبرك بالآثار الطيّبة من يدِ هذا الحبيب العظيم صفوةِ أهل زمانه.

وقبْلَ أن يركَبَ السيارةَ نظر إلىٰ دار الحبيب عبد اللّه بن عمر بن يحيىٰ، وحيثُ المسافةُ بعيدة ولا طريقَ للسيارة إليه قال الحبيب: لبُعد الشُّقة استكفَيْنا بالنظر إليه، ثم قال: إنّ الحبيب عبدَ اللّه بن حسين رأىٰ بيوت المَسِيلة ورأىٰ بيتَ الحبيب عبد اللّه بن عمر مرتفعاً علىٰ الديار كلها، فسأله: ما سببُ ذلك؟ فقال له: إني لمّا بنَيْتُ الدارَ قرأتُ علىٰ كل رُقْدة (أي: كلِّ درجة) خَتْمة. وفي رواية: أنه قال: إنه قرأ في كل منزل خَتمة، وفي منزل الضيوف أربعينَ خَتمة.

ثم ركب السيارة متّجهاً إلىٰ (تريمَ) هو ورفاقُه، وقصَدَ دار السيد هودِ بن أحمد بن سُميط، وكان واقفاً عند باب بيتِه لاستقبال الحبيب، فقابله أحسنَ مقابلة ورحّب به أجملَ ترحيب، وعانقَه عِناق الابن لأبيه، وفرِح بقدومه أشدَّ الفرح. وجاء بعضُ السادة من أهل (تريمَ) للترحيب به، وكان قد شعَرَ بتعب الرحلة، فاستراح في غرفة خاصة غيرِ غرفة الاستقبال، وكان من بين الحاضرين في غرفة الاستقبال: السيد عبد الرحمن بن حامد السِّري[1] في انتظار خروج الحبيب إلىٰ غرفة الاستقبال لمواجهة المرحِّبين. وبينَما هُو وغيرُه في الانتظار، كان الكلامُ يدورُ في حال الحبيب عبد اللّه بن حسين، وقال لنا السيّد السِّري: إنه عظيمُ الحال وحريصٌ كلَّ الحرص علىٰ توزيع أوقاته، ومِن عِظَم حاله قال: إن المُلازِمينَ له ما شعروا أنهم في دنيا إلا بعدَ وفاته، رضيَ اللّه عنه وأرضاه.

---

(١) السيد الفاضل الحبيب عبد الرحمن بن حامد بن العلامة مسند عصرِه محمد بن سالم السِّري. مولده بتريم وبها وفاته. أخذ عن أبيه وجده، وكان ملازماً خالَه إمام عصره الحبيب عبد اللّه بن عمر الشاطري، وجمع من كلامه مجلداً كاملاً.

وبينَما نحن كذلك إذ طلَعَ علينا الحبيب إلىٰ غرفة الاستقبال، وتشرَّف الحاضرونَ بتقبيل يدِه الشريفة، ثم خرج بعدَ ذلك إلىٰ دار الحبيب محمد بن علوي بن عبد الله بن شهابٍ[١] ليُعزِّيَه في والده الحبيب الإمام علوي بن عبد الله بن شهاب[٢]، وكان أولَ لقاءٍ بينَهما بعد وفاة الحبيب علوي، فقد كانت وفاة الحبيب علوي بنِ شهاب في ١١ رمضان سنةَ ١٣٨٦هـ، وكان من بين الحاضِرينَ في الجلسة السيّد العلاّمة محمد بن سالم بن حفيظ[٣].

وبعدَ أنِ استقرّ المجلسُ بالحاضرين، أنشَدَ السيد علي بن محمد بن علوي بقصيدة «قد تمَّمَ اللّهُ مقاصدَنا».. إلخ، وقدِّمَ الخريفُ (الرُّطَب) والقهوة، ثم ثنَّىٰ بقصيدة «قال الفتىٰ الحبشي إلىٰ الغنَّا ورَدْنا زايرين».. إلخ، وأطعم الحبيبُ الحاضرينَ من الخريف (الرُّطَب) ورتَّبَ الفاتحة، ثم عاد إلىٰ

---

(١) الحبيب الفاضل محمد بن الحبيب العارف باللّه علوي بن عبد اللّه بن شهاب الدين. مولده بتريم وتربّىٰ علىٰ يد والده، وأخذ عن شيوخ (تريم) في عصره، وكانت وفاته بالمسيلة في حوْل الحبيب عبد اللّه بن حسين بن طاهر سنة ١٤٠٠هـ بعد قيامه في المذاكرة التي وصَفَ فيها الجنة ونعيمها، رحمه اللّه.

(٢) الحبيب علوي بن شهاب شيخ المتأخرين، ونسخة السلف الصالحين، مولده بتريم سنة ١٣٠٣هـ ووفاته سنة ١٣٨٦هـ، أفرده بالترجمة تلميذه السيد عمر بن علوي الكاف بمجلد سماه «تحفة الأحباب» طبع مؤخراً.

(٣) السيد العلامة محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم. مولده بتريم سنة ١٣٣١هـ. تلقىٰ علومه ومعارفه علىٰ يد شيخ عصره الحبيب عبد اللّه بن عمر الشاطري، كان مهتماً بنشر العلم والدعوة إلىٰ اللّه، ودرّس برباط تريمَ سنواتٍ طويلة، وتخرج علىٰ يديه أفواج من طلاب العلوم، وكانت وفاته شهادةً في سبيل اللّه وهو يُجابِه الظلَمة الغاشمين ذيول الاشتراكية البغيضة، فاعتقل في ٢٩ من ذي الحجة من عام ١٣٩٢هـ، وأودع السجن ولم يرَه من بعدها أحدٌ من أهله.

بيت السيد هود، وهناك وجَدَ أخدامَ السقافِ[١] قد أحضرهمُ السيد هود تعبيراً عن فرَحِه بقدوم الحبيب إلىٰ (تريم). وبعد أن أنشدوا بقصيدةٍ من قصائدهم بُسِطت مائدةُ الغداء وفيها ما لذّ وطاب، وبعد تناول الغداء دخل غرفتَه الخاصة للراحة.

وفي جلسةٍ معَه عند ذكْر الحبيب عبد اللّه بن عمر بن يحيىٰ[٢] قال عنه: إنه صاحب هِمة كبيرة، اتفَق ذاتَ مرة أنْ جاء إليه أحدُ المحتاجينَ يطلب منه شيئاً، فكتب له بخمسين ريالاً، فلفت المحتاج إلىٰ الورقة بعد انصرافه فوجدَها خمسين وهو لا يتوقعُ أكثرَ من خمسة ريال، وقال في نفسه: لعل الحبيبَ أرادها خمسة فكُتِبتْ خمسين، ورجع إليه ينبِّهه إلىٰ ذلك، فأخذ الورقةَ الحبيبُ عبد اللّه وزاد «صفراً» فجعلها خمسَمئةٍ وقال: لا يكون القلمُ أكرمَ منّي.

وقال الحبيب عمر: أيضاً لهذه الحادثة مُثلىٰ في زنجبارَ لأحد

---

(١) أخدام السقاف: هم أفراد عائلة آل (بامُصري)، يقال: إن السيد الجليل أحمد بن الحسين العيدروس (ت ٩٧٣هـ) جلب أصولهم: من مصر إلىٰ تريمَ في القرن العاشر ليقوموا بالإنشاد والتسميع في الحضرات والموالد، خصوصاً حضرةَ الإمام عبد الرحمن السقاف المقامة في مسجده الشهير بتريم، وهذه هي وظيفتهم إلىٰ اليوم.

(٢) الحبيب الفقيه المفتي عبد اللّه بن عمر بن يحيىٰ، من أعلام حضرموت، مولده بالمسيلة ووفاته بها سنة ١٢٦٤هـ، أحد العبادلة السبعة الفقهاء بحضرموت، له فتاوىٰ مطبوعة ورسائل عديدة لا تزال حبيسة الجدران، جمع ثروة ضخمة من الكتب النفيسة والنادرة، منها ما ضُمَّ لمكتبة المخطوطات بتريم، ومنها ما لا يزال بأيدي ورثته، يقال: إن ابنه السيد العلامة عقيل جمع له ترجمة، إلّا أن أحداً لم يرَها، ولعلها فُقِدت، انظر ترجمته في «عقد اليواقيت»، و«تاريخ الشعراء»، و«شمس الظهيرة».

سلاطينها، هكذا كتَبَ لِمسكينٍ خمسين روبيةً وهو لا ينتظر أكثر من خمس ربيات، فجاء إلىٰ الخازن، فأنكر الخازنُ المبلغ ورجع إلىٰ السلطان لينبِّهه، فزاد «صفراً» وقال نفسَ القولة: لا يكونُ القلمُ أكرمَ منّي.

وكان رضي اللّه عنه قد وعَدَ الحبيب، عينَ أعيان حضرموت، الحبيب جعفر بن أحمد العيدروسَ (١) أن يأتي إليه بعد العصر إلىٰ العُزلة، فجاء إليه، وحضر جمعٌ كثير من الناس، واستقبل الحبيبَ عمرَ بالبِشر والفرح والسرور، وكان الحبيب جعفرٌ يردّد طَوالَ الجلسة: اليوم عيد كبير عندَنا وعند أهل (تَريم)، والفقيه والسقّاف والمِحضار والعيدروس كلُّهم فرحانين بقدومكم، أهل حضرموت كلهم، بل مِن يوم وصولكم كل يوم عيد كبير، يا مرحباً وسهلاً. وهكذا كان يردّد طول الجلسة، وطلب من الحبيب عمر أن يتكلّم، فاعتذر وقال: كلامُك وكلامُنا واحد.

ثم طلب منه أن يُلقِّن الحاضرينَ الذكْر وهُو: لا إلهَ إلا اللّه «ثلاثاً» محمّدٌ رسولُ اللّه ﷺ، فلقَّنهم.

وكانت جلسةً مباركة، وقدَّم الحبيب جعفرٌ القهوة والحلوىٰ والدُّخُون، وأطعم الحبيبُ الحاضرين من الحلوىٰ علىٰ عادة السلف، وأنشد بعدَ ذلك الحبيب حسن بن عبد اللّه الشاطري بقصيدة لوالده، ثم أتبعها بقصيدة الحبيب علي «قد تمَّم اللّه مقاصدَنا»، ورتَّب الفاتحة الحبيب جعفر، وأتمَّها الحبيبُ عمر.

---

(١) الحبيب الجليل العارف الذائق جعفر بن أحمد بن سالم بن عبد القادر العيدروس، اشتُهر بـ(عيدروس زمانه). مولده بسوارابايا من بلاد أندونيسيا ووفاته بتريم سنة ١٣٩٧هـ. كان وليـاً صالحاً معتقَداً، أخذ عنه الكثيرون وله كرامات معروفة. له ترجمة في «قبسات النور» للسيد أبي بكر المشهور، وجمع بعضهم قصائده الحمينية.

وتوجَّه بعد ذلك إلىٰ بيت السيد عبد اللّٰه بن أحمد الهدار[١]، وهُو البيت الذي بناه حديثاً في (تريم)، ووجَدَ السيدَ المذكور في انتظاره، ورحَّب به أعظمَ ترحيب.

ولمّا استقر به المجلسُ هُو ومَن معَه وشرب القهوة، طلب السيدُ عبد اللّٰه من الحبيب عمر أن يتنقل في منازل البيت الجديد، وقال للحاضرين: قوموا مع الحبيب إلىٰ المنزل الثاني، فدخل الحبيب فوجَدَ المائدة مبسوطةً في المنزل علىٰ غير موعدٍ وفيها ما لذَّ وطاب، فقال الحبيب عمر: إن هذا من مفاجأة الخير، دخَلْنا ولم يكن ببالِنا أننا نجدُ مائدة مبسوطة هكذا. وبعد تناول الطعام قدّم الشاي، ثم بعد ذلك رتَّب الفاتحةَ الحبيب.

وخرج وقتَ المغرب قاصداً مسجد آل عبد اللّٰه بن شيخ[٢]، وقصد زيارة

(١) السيد العلاّمة الأديب عبد اللّٰه بن أحمد الهدار، له أيدٍ في التعليم والإصلاح، كان كثير التَّرداد علىٰ الحرمين، أخذ عن شيوخ عصره، وتوفي بعينات سنة ١٣٩٦هـ، له مصنفات، منها: «مناقب» لجده الشيخ أبو بكر بن سالم وعدد من الدواوين طبعها الشيخ سراج كعكي. وهو القائل مرحِّباً بالحبيب عمر عند قدومه سنة ١٣٧١هـ، وزيارته لمولىٰ عينات:

فيا عمَرُ الجليلَ القدْرِ، هذا ... مَعِينُ الفضْلِ فاستَسْقِ المَعِينا
وقمْ يا ابنَ الشِّهابِ اليومَ واضرَعْ ... وكُنْ باللّٰهِ ربِّك مستعينا
وأدخِلْنا إلىٰ الآباء فضلاً ... عسىٰ بكَ يعطِفونَ علىٰ البَنِينا
فإنك ضيفُهم والضيفُ يَحظىٰ ... بما يرجو ويطلُبُه يقينا
وذِكرىٰ هذه اللُّقْيا سيبقىٰ ... لدينا في الضمائرِ ما بَقِينا

وهي برُمَّتِها في رحلة «تلبية الصوت»: (١٨١).

(٢) مسجد آل عبد اللّٰه بن شيخ المؤسس في سَحِيل تريم علىٰ أكَمَة مرتفعة قليلاً تجعل المسجدَ يبدو أمام رائيه في أُبهّة عجيبة، وهو مؤسَّس في القرن العاشر الهجري علىٰ يد العلامة الجليل عبد اللّٰه بن شيخ العيدروس وتولىٰ أبناؤه وذريته =

الحبيب عبد اللّه بن شيخ(١)، فقيل له: يكون المغرب في المسجد، فوجَده هناك وصلّىٰ خلفه صلاة المغرب هُو ومَن معه، فطلب منه الفاتحة، ثم انصرف عائداً إلىٰ بيت السيد هود بن سميط، وبات عنده.

❋ ❋ ❋

= التدريسَ فيه من بعده.

(١) الحبيب عبد اللّه بن شيخ بن عيدروس العيدروس: من أعيان تريم وعلمائها الصالحين، مولده بها، وبها وفاته سنة ١٤٠٠هـ، تربّىٰ بأخيه الأكبر الحبيب عبد الباري بن شيخ وأخذ عن شيوخ تريم من أهل ذلك العصر، وخلفَه ابنُه السيد الفاضل الحبيبُ محمّد المستور، وهو يقوم بالتدريس في زاوية أسلافه المجاورة للمسجد المذكور.

وبعد صلاة صبح يوم الأربعاء ١٨ منه:

عزَمَ علىٰ زيارة الفقيه والسقّاف والمحضار وبقيّة القوم الكرام، وتوجَّه إلىٰ التُّربة، وعندما وصل الحبيب إلىٰ تُجاه ضريح سيدنا الفقيه المقدَّم وجَدَ هناك جماعةً من أهل (تريمَ) علموا عن زيارته فسارعوا ليشاركوه الزيارة، وكان الذي يزور بالحبيب ورفاقه هو السيد محمد بن سالم بن حفيظ.

وبعد قراءة ﴿يسٓ﴾ والفاتحة أنشدَ الحبيب عبد الرحمن السري «قال الفتىٰ الحبشي إلىٰ الغنَّا وردنا زايرين». . إلخ، وكانت زيارةً مشهودة وعامة: ابتدأت بسيدنا الفقيه المقدَّم وانتهت بسيدنا الحبيب عبد الله بن شيخ العيدروس.

وبعد ذلك، توجَّه إلىٰ عيديد، إلىٰ بيت السيد الفاضل عطّاس بن عبد الله الحبشي [1]، فخرج السيدُ عطّاسٌ إلىٰ خارج باب البيت مستقبِلاً الحبيب فرِحاً مسروراً، وقال عندما صافحه: هذا اللقاء ما كان في الخواطر، ودخل الحبيب إلىٰ البيت وقدَّم الحبيب عطّاسٌ كؤوس الشراب، وأنشد بقصيدةٍ للحبيب علي الحبشي تتضمنُ الترحيبَ بالحبيب، ثم رتَّب الفاتحة امتثالاً لأمر الحبيب عمر.

ثم واصَلَ السير في عيديد إلىٰ قرب ضريح الإمام مولىٰ عيديد ورتَّبَ

---

(١) الحبيب العلامة المُسَرْبَلُ بالنور أبو بكر العطّاس بن عبد الله بن علوي الحبشي. مولده بتريم سنة ١٣٢٨هـ ووفاته بمكة المكرمةَ في ٢٨ رجب من عام ١٤١٦هـ. وكان مقصوداً بالزيارة في منزله بمكة المكرمة.

الفاتحة، وعاد إلىٰ بيت السيد هود بن سميط حيث تناول طعام البَسْط، ثم توجه إلىٰ الرباط لحضور مَدْرَس الأربعاء، والمتَصدِّرُ في المَدْرَس السيد الفاضل مهدي بن عبد الله الشاطري[١].

وبعد الخروج من المَدْرَس، توجَّه إلىٰ دار الحبيب عبد الله الشاطري[٢] بدعوة من الحبيب مهدي، ووقعَتْ جلسةٌ مباركة أنشد فيها الحبيب حسن قصيدة لوالده مطلَعُها: «يا ليلة النور كم فيها».. إلخ، ورتب الحبيب عمر الفاتحة، ثم انصرف راجعاً إلىٰ بيت السيد هود بن سميط.

واتفق أنّ يوم الأربعاء زواجُ أحد أولاد آل سميط علىٰ بنت السيد محمد ابن سالم بن حفيظ، وأوّلَ العصر توجَّه الحبيب إلىٰ بيت السيد محمد بن سالم ابن حفيظ لتناول طعام الوليمة، ثم رجع بعدَ ذلك إلىٰ دار السيد هود بن سميط لأخْذ قِسطٍ من الراحة.

وأوّل العشاء توجَّه إلىٰ دار السيد أحمد بن حسنِ بن أحمد بن سُميطٍ لتناول طعام العشاء علىٰ مائدته، وحضرَ عنده لهذه المناسبة كثيرٌ من الناس ومِن بينهم: السيد عبد الرحمن بن حامد السِّري، والشيخُ فضْل بن محمد

---

(١) الحبيب محمد المهدي بن عبد الله بن عمر الشاطري أكبر أولاد أبيه، تسلم زمام الرباط بعد وفاة أبيه، وكانت وفاته بأبو ظبي سنة ١٤٠٥هـ.

(٢) الحبيب العلامة النحرير، شيخ عصره ومفخرة مصره، عبد الله بن عمر الشاطري. مولده بتريم سنة ١٢٩١هـ وبها وفاته سنة ١٣٦١هـ. أخذ عن الإمام عبد الرحمن المشهور صاحب «بغية المسترشدين»، ورحل إلىٰ مكة المكرمة فأخذ بها عن السيد بكري شطا وشيخ الإسلام محمد سعيد بابصيل ومفتي الشافعية الحبيب حسين الحبشي والشيخِ عمر باجنيد وغيرهم، ثم عاد إلىٰ تريم سنة ١٣١٤هـ، ونذَرَ نفسه للعلم والتعليم طوالَ حياته حتىٰ وافته المنية وهو عاكف علىٰ ذلك، فما مِن طالب علم بتريم، بل بحضرموت عامة، إلاّ وله عليه مِنّة.

بافضل، وكانت جلسةً مباركة، تَذاكَرَ فيها الحاضرونَ عن حياة أهل البرزخ وعن عِلمهم بما يجري، فقال الشيخ فضلٌ عن كتاب «الروح» لابن القيم: إن أحداً مرَّ بمقبرةٍ وجلس بها واتّكأ علىٰ أحد القبور، ثم عَنَّ له أن يركع ركعتيْن، فرأىٰ في تلك الليلة صاحبَ القبر يقول له: إنك آذَيْتَني لمّا اتّكأْتَ علىٰ قبري، ولكن الركعتيْن نفعتني.

فقال الحبيب عمرُ نفع اللّٰه به: ومما يؤكد ذلك ما حكاه لي السيد علوي المالكي عن الحبيب عبد الرحمن بن عبيد اللّٰه[1]: أنه عارضَ أبيات النبهانيِّ في نعلِ الرسول ﷺ، وهي هذه:

علىٰ رأس هذا الكوْنِ نَعْلُ محمّد ... علَتْ، فجميعُ الكونِ تحتَ ظِلالِه
علىٰ الطُّورِ مُوسىٰ نُودِيَ: اخلَعْ، وأحمدٌ ... علىٰ العرْشِ لم يُؤمَرْ بخلْعِ نِعالِهِ

فأنكر ابنُ عبيد اللّٰه ذلك وقال: إن محمّداً ﷺ أحَقُّ بالأدب مع اللّٰه مِن غيره. وعارَضَ أبياتَ النبهاني بأبيات لم تحضُر في ذهن الحبيب عمر، ثم قال: إنه رأىٰ تلك الليلةَ في المنام الشيخَ النبهاني وهو يقول: أنت ابنُ عبيد اللّٰه؟ قال له: نعم، قال: وأنت القائلُ الأبيات. وقرأها الشيخ علىٰ ابن عبيد اللّٰهِ بتمامِها كما قالها، فقال له: نعم، قال له: وأنا النبهاني، هل عندك كتابُ «الإحياء»؟ أو قال: «البخاري»، قال: نعم، قال له: افتحِ الكتابَ

---

(١) العلامة نادرة عصره مفتي حضرموت: السيد عبد الرحمن بن عبيد اللّٰه بن مُحسن بن علوي السقاف. مولده بسيون سنة ١٣٠٠هـ، وبها وفاته سنة ١٣٧٥هـ. أخذ عن أبيه العارف باللّٰه الحبيب عبيد اللّٰه بن مُحسن المتوفىٰ سنة ١٣٢٤هـ، وعن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وكان يفتخر دائماً بانتسابه إليه، إذ كان والده من أخصِّ خَواصِّه، له مصنفات متعددة منها: «بضائع التابوت في تاريخ حضرموت» ومختصره «إدام القوت» (معجم للبلدان) طبع، و«صوب الركام». وغيرها.

الفـلانيَّ من الجـزء كذا، ففعَل، فوجـد: «بابُ صَـلاة الرسـولِ ﷺ بالنِّعال»، فحجَّه بذلك النبهاني؛ لأن مقامَ الصلاة هو أقرب وأعظمُ مقام بين العبد وربِّه. والشاهدُ في الحكايةِ هو: قراءةُ النبهانيِّ لأبيات ابن عبيد اللّه تماماً كما قالها، وربما كان ذلك قبل أن يطّلع أحد عليها.

ثم تطرَّق الكلامُ إلىٰ الكُتب الضِّنِّينة المخطوطة، فقال الحبيبُ رضي اللّه عنه: إن في مكتبة (لندن) من الكتب العربية الإسلامية المخطوطة حوالي ١٩٠ [ألف] مجلد.

ثم عـاد الحديـثُ حول الشيـخ النبهـاني ونفْيـه إلىٰ المدينـة وسجْنه بها من قبـل سلطـان ذلك الوقت لمدة ستة شهور، فكان يقول: إن من الغرائب أن أُسجن في أحبِّ البقاع إليّ! وتمنّىٰ وقتَها أن تكون مدةُ السجن أكثر مما حُكم به.

وقال رضي اللّه عنه:

إن الشيخ النبهانيّ(١) كان بالمدينة في مكتبةٍ من المكاتب، ودخَل رجلٌ ورأىٰ بعض كتُب النبهـاني واعترضَ عليها وهُو لا يعرف النبهاني. وقال: أين النبهاني؟ ليتَني أراه سأقول له كيْتَ وكيْت، منَ الاعتراض علىٰ كتُبه، فخرج له الشيخ من المكتبة وقال له: أنا النبهاني، فبُهِتَ الرجل وخجِل ولم يُحرِ جواباً وولّىٰ هارباً.

---

(١) العلاّمة الأديب العـارف باللّه الشيخ يوسُف بن إسماعيل النبهاني، من أهل بيروت، وأصله من (إجزم) بفلسطين، أحد مشاهير العلماء في عصره، درَس بالأزهر الشريف علىٰ يد الشيخ إبراهيم السقا وطبقتِه، له مصنفات عديدة في محبة الحبيب الأعظم ﷺ، ترجم لنفسه في ثبته المطبوع المسمىٰ «هادي المريد إلىٰ طريق الأسانيد». وفاته سنة ١٣٥٠هـ.

وقبلَ أن تُبسَطَ مائدة العشاء أنشد الحبيبُ عبد الرحمن بن حامد السِّري بقصيدة:

قـــال الـفـتـــىٰ الـحـبَـشـــي جمال الحبيب برقت أعيان الأكابر

وبعد تناول طعام العشاء عاد إلىٰ بيت السيد هود، وباتَ عنده.

❋ ❋ ❋

وبعد صلاة فجر الخميس ١٩ منه:

جرىٰ ذِكْرُ الحبيب عبد اللّٰه بن علي بن عبد الرحمن المشهور[١]، وأنه مُلازمُ البيتِ لمرض رجليه ويديه، وقيل: إنه في هذه الأيام القريبة سقَط ورُضِخَت رجلُه، فقال: فضيلةٌ فوقَ فضيلة، وهكذا الزيان، يزيدُهُمُ اللّٰه امتحان، فناس عبيد إحسان، وناس عبيد امتحان، كما جاء في الحديث: «عجِبَ اللّٰهُ مِن قومٍ يُقَادونَ إلىٰ الجنّةِ بالسَّلاسل»[٢].

وقال نفع اللّٰه به:

«أرادَ أحدٌ الكلام في حضرة أحد الحبايب عن أهل (تريم)، فقال له: لا تذكُرْ أعمالهم، فهي معروفة، هاتِ عن عاداتهم. فقال: فلانٌ متَشاجِر مع فلان، وفلان قاطعَ فلاناً، فقال الحبيب: لولا هذه الأشياءُ لطاروا إلىٰ السماءِ من بركة أعمالهم».

وفي حوالي الساعة (٢):

توجَّه الحبيبُ إلىٰ دار السادة آل سُميطٍ لتناول طعام الوليمة (الصُّبْحَة)، ثم خرج بعد ذلك إلىٰ دار الحبيب حسن بن عبد اللّٰه الشاطري[٣]، وكانت

---

(١) السيد الفقيه عبد اللّٰه بن علي المشهور، ولد بتريم وتوفي بها سنة ١٣٨٨هـ، أخذ عن أبيه العالم الورع علي بن عبد الرحمن المتوفىٰ سنة ١٣٤٤هـ. وطبقته من شيوخ تريم، الآخذين عن جده الإمام المفتي عبد الرحمن المشهور مصنف «بغية المسترشدين».

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٧٧)، وأحمد (٢: ٣٠٢، ٤٤٨)، وغيرهما.

(٣) الحبيب البقية، السيد المرشد المربي حسن بن عبد اللّٰه بن عمر الشاطري، أحد =

جلسةٌ مباركة، أنشد فيها الحبيبُ حسنٌ بقصيدةٍ من قصائد والده، وكان الكلامُ بعد ذلك عن السلَف الصالح وما درَجوا عليه، وطلب الحبيبُ حسن الدعاءَ من الحبيب عمرَ فدعا له، وقال له: أنتم في برَكة والدِكمُ، وأنتم كالإشعاع تبلِّغونَ تعاليمهم بواسطتكم للناس.

ثم أحضر الحبيب حسن أحَدَ أولاده الصِّغار ـ واسمُه عبدُ القادر (جيلاني) ـ وقال للحبيب: امسَحْ علىٰ صدر الجويّد، فمسح عليه وقال: بايقع جويّد.

ثم قال الحبيب عمر: ذكّرتني كلمة (الجويّد) وقت حبيبي طاهر[1]، كان عنده ولد اسمه سالم، وكان يسميه والدي (الجويّد)، فيقول له الحبيب طاهر: لكنه حَرِيْبِه، فقال: هذه شبيهةٌ بقول من يتحدث عن شخص وقال عنه: إنه خَيِّر، لكنه سُوَيْرق.

وجاء في كتاب [من] الحبيب طاهر للحبيب علي بن محمد الحبشي قال له: صدر إليك الولد سالم (بطّه خليّه) بغيناك تمْلِيها.

وحضَرَه مع الكتابة بيتُ شعر، وهو هذا:

يا علي يا بن محمّد يا مقدَّم كل سَيِّدْ　　　عبدكَ العاصي طُوَيْهر وأنت له ياطَمْ سيّد

= الشيوخ الذين عليهم المدار في التوجيه والنصح والإرشاد اليوم، وهو المتصدِّر في مَدْرس الرباط يومي السبت والأربعاء حسَبَ العادة الجارية بتريم، يتردد بين تريمَ والإمارات وجُدةَ مرشداً وناصحاً، ويجتمع عليه محبوه وتلاميذه أينما حل وارتحل. ولد بتريم سنة ١٣٤٧هـ، وتوفي بأبو ظبي منتصف عام ١٤٢٥هـ ودفن بتريم.

(١) هو الحبيب المرشد الصالح طاهر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن زين بن سُميط. مولده بشِبام سنة ١٢٥٢هـ وبها وفاته في ٢٠ شوال سنة ١٣٣١هـ، ترجم له السقاف في تعليقاته علىٰ رحلة باكثير «الأشواق القوية» ص ١٨٢.

فقال الحبيب عمر: وكنت أنا الكاتب، فقال لي: آه! شفت يا عمر، ريّض؟ فقلت له: باتجعل بدل ياطَمْ (يا خير)! ثم قال: إن الحبيب طاهر علىٰ غايةٍ من الزهد في الدنيا والقناعة التامة رضي الله عنهم.

وعصْرَ الخميس:

توجَّه الحبيبُ نفع الله به إلىٰ (سيئونَ) لحضور حوْلِ الحبيب علي بن محمد الحبشي خاتمةِ الأحوال. وقُبيل المغرب وصلَت السيارة إلىٰ قرب سيون، فأشار الحبيب بوقوفها عند باب مسجد (بازقامة) في ضواحي سيون بالقرب من (حصن الحوارث)، ودخل المسجدَ للاستراحة من تعب الطريق، وقال نفع الله به: إنه اعتاد ــ في أكثر رحلاته لحضرموت ــ أن يدخل هذا المسجد، وخاصة مع وقت العصر.

وتطرق الحديث إلىٰ التسهيلات الموجودةِ اليومَ من: ماء وكهرباء، وتوفر ذلك للجميع، فقال الحبيب:

«معاد أحد من أهل المجاهدات، فآخر مَن عرفناهم هو الحبيب علوي ابن شهاب الذي لم يَركَبْ في (تريم) تأدُّباً، وكذلك الحبيب عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر، لم ينتعِلْ في (تريم) تعظيماً.

وبعدَ أن صلّىٰ المغربَ مجموعةً معَ العشاءِ جمْعَ تقديم:

توجَّهتْ به السيارة إلىٰ بيت الحبيب عبد القادر بن أحمدَ السقاف، وكان السيدُ عبد القادر في ذلك الوقت في قُبة الحبيب علي الحبشي لقراءة القرآن أيامَ الحوْل.

ووجد الحبيبُ في المكان السيدَ السالك الناسك علي باعبود[1]،

---

(١) السيد الفاضل الألمعي: علي بن محمد بن زين باعبود، من أهل تريم. طلب العلم=

وتَذاكَـرا عن الحبيب علوي بن طاهر الحـداد(١) ومُلازمتِه لوالد الحبيب عمر: الحبيب أحمد بن أبي بكرٍ بنِ سميط.

وقال الحبيبُ نفع اللّه به: إنّ من حسَنات الأيام اجتماعَ الإخوان.

وكان السيد باعبود كثيرَ المطالعة، فأخبَرَ الحبيبَ عن بعض الكتب التي قرأها، فقال: «نِعمَ الأنيسُ إذا خلَوْتَ كتابُ»، وخاصة في هذا الزمان.

ثم سأله عن تاريخ وفاة والده، وهل طُبعت مؤلفاتُه كلُّها أو لا؟ فأجاب الحبيبُ بقوله: توفي والدي في سنة ١٣٤٣هـ عن ستٍّ وستين سنة، وهُو من مواليد إفريقيا، فقد انتقل جدي إلىٰ إفريقيا من وقت الحبيب أحمد بن عمر بن سُميـط، وقد كان يحضـر درسَه الحبيبُ أحمـد بن عمـر مع والـده: الحبيـب عبد اللّه بن عبد الرحمن بن محمد بن زين بن سُميط. وأما عن مؤلفاته فبعضها طُبع والبعض الآخرُ لم يُطبع.

ثم عاد الحديث عن الحبيب علوي بن طاهر وقوة صلته بالحبيب أحمد

= بهـا، ثم سافـر إلىٰ الحرميـن ومصر، وأدرك بهـا الإمـامَ الكوثـريَّ والسيـد أحمـد الغمـاري وغيرهما من علماء ذلك العصر، وأخذ عن الحبيـب علوي بن طاهر الحداد وتوفي بتريم، وتُروىٰ له نوادرُ مع ابن عبيد اللّه السقاف، لعل وفاته بعد سنة ١٣٩٧هـ.

(١) السيد الإمام، فريد عصره، الحجة، العلاّمة علوي بن طاهر الحداد. مولده (بقيدونَ) سنة ١٣٠١هـ. أخـذ عن الإمام أحمد بن حسـن العطّاس واشتُهر بأخْذه عنه، وعن الإمام طاهر بن عمر الحداد وابنه السيد الجواد الباهر محمد بن طاهر، ولم يزل يجنَح للمعالي، يسهَر في طِلابِها الليالي، حتىٰ بَزَّ الفرسان، وفـاق علىٰ الأقران، واستحق أن يُمدح بمثل قول الشاعر صالح بن علي الحامد فيه:

هذا الذي لو سَما شعبٌ يُباهِلُنا بِعبْقـريٍّ . . بـهِ جئنـا نُباهِلُـه

تولّىٰ الإفتاء ببلـدة جوهـور من أرض ماليزيـا، وبها كانـت وفاتـه سنة ١٣٨٢هـ. له مصنفات عديـدة.

ابن أبي بكر، وما كان عليه الحبيب علوي من سعة العلم.

وقال السيد باعبود يحكي عن ابنه طاهر بن علوي: إن لوالده اثنيْ عشرَ ألفَ فتوىٰ، ومع هذا فقد تتكوّنُ الفتوىٰ الواحدة من سبع صفحات من الحجم الكبير.

وعن السيد عبد اللاه بن حسن بلفقيه[١]، عن السيد محمد بن عقيل بن يحيىٰ[٢] قال عن كتاب «القول الفصل» للحبيب علوي: إنه لم يؤلَّفْ مِثله منذ خمسمئةِ سنة.

وقال السيد باعبود: كان عندي الجزءُ الأول، وكنت بأرض الحجاز، فذكَرْتُ ذلك لأحد علماء تركيا اسمُه الشيخ زاهد كوثري[٣]، فطلَبَه منّي

---

(١) السيد المؤرخ عبد اللاه بن حسن بلفقيه. مولده بتريم وبها وفاته سنة ١٣٩٩هـ. طبع من مصنفاته كتاب «الشواهد الجليّة علىٰ مدى الخُلف في القاعدة الخلدونية» في نقضِ قاعدة ابن خلدون في النسَب. وترجم له تلميذه الشيخ علي سالم بكير في خاتمته، ولا تزال أبحاثه ورسائله القيمة حبيسة الجدران بمنزله بتريم، فعسىٰ أن يهتم ورثته بطبعها!

(٢) السيد العلامة الألمعي محمد بن عقيل بن عبد اللّه بن عمر بن يحيىٰ. مولده بالمسيلة ووفاته بأرض الحديدة (من شمال اليمن) سنة ١٣٥٠هـ.

(٣) هو الإمام العلاّمة الشيخ محمد زاهد بن الحسين الكوثري الحنفي، مولده بتركيا سنةَ ١٢٩٦هـ ووفاته بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ بعد هجرته من عاصمة الخلافة العثمانية قُبَيلَ سقوط الخلافة بها علىٰ يد أتاتورك، وقد كان متولّياً منصبَ وكيل مشيخة الإسلام بإستانبول. له مصنفات كثيرة مطبوعة.

* تنبيه: قولُ السيّد باعبود: (كنتُ بأرض الحجاز)، يعني أنّ الكتابَ كان لديه مِن وقتِ كانَ بأرض الحجاز، ولقاؤه بالإمام الكوثري كان بمصر، وإلا فالكوثري لم يغادر مصر بعد استقراره بها، ولا حتىٰ للحج، كما هو معلومٌ من سيرته رحمه اللّه تعالىٰ.

لمطالعته، فقرَأه باستقصـاءٍ في مدّة أربعةِ أيـام. ومن مؤلَّفاتـه: كتابُ «الزهرِ الفائح في تخريجِ أحاديث النصائح»، رحمه اللّه.

وبعدَ صلاة العِشاء وصَل الحبيـب عبد القادر بن أحمد، وبُسِطت مائدة العشاء، وحضَرَ العَشاء جمعٌ كثير ممن يعتادونَ النزول عنده ليلةَ الحوْل، وبعد ذلك تأهَّب الجميع للنوم استعداداً للقيام قبلَ الفجر لحضور احتفال الحول.

❋ ❋ ❋

وفجرَ يومِ الجُمُعةِ ٢٠ ربيع الثاني سنةَ ١٣٨٧هـ:

توجَّه الحبيبُ إلىٰ قُبة الحبيب علي، وبعد أداءِ الذكْرِ معَ الحاضرينَ قام الحبيب عبد القادر بن محمد بن علي الحبشي وسَطَ الجموع العظيمة وذكَّرَهم بمُذاكَرة طويلة جامعة، ثم بعدَ ذلك رجَعَ الحبيب إلىٰ بيت السيد عبد القادر بن أحمد، حيث اجتمع كثيرٌ من السادات لقراءة (البُردةِ) المُعتادِ قراءتُها في دار الحبيب عبد القادر بن أحمد والتماساً لبركة الحبيب عمر، حيثُ مَنَّ اللّهُ علىٰ الأُمة بوجوده في يوم الحوْل الموافق يومَ الجمُعة، فكانت أعيادٌ في أعياد.

وبعدَ قراءة البُردة أنشد المُنشد بقصيدة الشواف، ثم تكلَّم الحبيبُ عبد القادر بن أحمد واستهَلَّ كلامَه بقوله:

إن يوم الحوْل يومُ عيد، ووجودُ الحبيب عمرَ عيد الأعياد. وعلّق علىٰ قصيدة الشواف، وما سَلسلَهُ الشوافُ من ذكر السادات العِظام، مثلَ: الفقيه والسقاف والسَّكران والمِحضار والعيدروسِ والشيخ عليٍّ وغيرهم، وأطنب في سيرة السلف وما درَجوا عليه من الأعمال والمجاهدات.

ومن كلامِه قال:

إنّ القطابةَ في علويي أهل حضرموت، وقال: (جاء في الحديث): «أجِدُ نفَسَ الرحمٰنِ من جهةِ اليمَن»، وهي حضرموت، ويكفي من أولاد المهاجر سيدُنا الفقيه المقدم.

ثم تعرَّض لذكر الحبيب أحمد بن حسين بن عبد اللّه العيدروس وقال عنه: إنه مظهَرُ الولاية والمَنْصَبةِ والكرم، ترحَّل أولادُه عبد اللّه ومحمد..

ضاقت بهم تريمُ مما يقومُ به والدهم من الإكرام، واستشهد بهذا البيت:

من فتيةٍ ما لهم هَمٌّ ولا شغُلٌ ولا التفاتٌ ولا ميْلٌ إلىٰ الفاني

وقال عن المجاهدات ــ واستشهد بكلام الغزاليِّ علىٰ سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، قال:

«ألا إنّ سِلعـةَ اللّهِ غالية»، وهل أحَدٌ أكرمُ علىٰ اللّه من رسولِه صلىٰ اللّه عليه وآله وسلم حتىٰ يُدخِلـه الجنـة بلا تعب، أو يُدنـي له المنـازل العاليـة بلا نصَب، وهُو القائلُ لأكرم خلْقه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ❊ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧ ــ ٨]، فلقد قام حتىٰ وَرِمتْ قدماه، فقالت له السيدةُ عائشة: أوَ تفعلُ هذا وقد غفرَ اللّه لك ما تقدَّم مِن ذنبِك وما تأخَّر؟ قال: «أفلا أكونُ عبداً شَكُورا»؟ فمن توَهَّم أن يحـوزَ تلك البضاعة معَ الإضاعـة فقد صغَّر ما عظَّم اللّه». واستمر في الكلام علىٰ سيرة السلف الصالح.

ومما قاله في جلسةٍ خاصـة، وكان أحد الحاضرين من آل مَكَارِم، فقال الحبيب عمر نفع اللّه به: مكارم: جمْع!

ثم تكلَّم السيد عبد القادر عن الشيـخ أحمد مَكَارِم صاحب الحبيب علي ابن محمد الحبشي وقوةِ تعلُّقِـه بالحبيب علي، فذاتَ مرة أشرَكَه في سفْرة من سفَراته وأدخلوا خمسةً وعشرينَ جمـلاً خُفْيةً ليلاً من الدولـة والباقـي أدخلوه بالنهـار ظاهراً، وذلك كلُّه من حِصّـة الحبيب علي، وأشرَكَـه حتىٰ في لُبس النعال، فقال للحبيب علي: فَرْدة لي وفَرْدة لك، حرصاً منه علىٰ القسمة. فقال له الحبيب علي: ليكن اللُّبس كاملاً لك.

ومرة من المرات عزم علىٰ السفر مخصوصاً لقضاء دَيْن أحد الحبايب آل السقاف.

وكذلك الشيخ عمرُ بن عَبَادي من أهل الغرفة، وكان صاحبَ تجارة بعدن، فوصَلَ إليه أحد الحبايب، فقال له عَبَادي: يا حبيب، ما يصلح تسافر. فقال له: علينا ديْن أكْلَفَنا علىٰ السفر من حضرموت، فسأله عن الدَّين، فقال له: سبعُمئة ريال، فقال عبادي في نفسه: ما فتَحَ اللّٰه به في ربح التجارة هذا اليوم فهو لحساب الحبيب لقضاء دَيْنه. وفتَحَ مكانَه علىٰ عادته، ففتح اللّٰه بربحٍ سبعِمئةِ ريال.

وفي المساء قال للحبيب: شُفِ الدَّيْن تيسَّر من باب اللّٰه، وفيه مركَب مسافر إلى المكلاّ واعزم فيه، وأعطاه فوق مبلغ الدَّين ما يُوصله إلىٰ بلده وما يُصلح به حاله. فقال الحبيب عمر نفع اللّٰه به تعليقاً علىٰ الحكاية: «فيه تجارة دنيا وفيه تجارة آخرة، وهذه تجارة آخرة». انتهىٰ.

وفي نهاية جلسةِ يومِ الجمُعة، طلَب السيدُ عبد القادر من الحبيب عمرَ أن يُجيزَ الحاضرينَ، فأجازهم فيما أجازه فيه أشياخه، فقبِلَ الحاضرون الإجازة، وبعد ذلك رتَّب الفاتحة.

وكانتِ الساعةُ تشيرُ إلىٰ الثالثةِ صباحاً:

فتوجَّه الحبيبُ بعد ذلك إلىٰ مسجد العيْدروسِ الجديد الذي قام في بنائه السيد طه بن أبي بكرٍ السقاف، وركَعَ فيه ركعتيْن، ثم دخل بيت السيد علي بن محمد بن حسن بن سُميط[1] ورتَّب الفاتحة.

---

(١) السيد الفاضل علي بن محمد بن حسن بن أحمد بن زين بن الإمام محمد بن زين بن سُميط. مولده بشبام. أخذ عن علماء شِبام في وقته، كالقاضي محفوظ المصلي وغيره، وتربّىٰ بأبيه الوليّ الصالح محمد بن حسن المتوفىٰ سنة ١٣٨٧هـ، ودرّس مدةً طويلة بالمدرسة الشرقية، ثم انتقل إلىٰ (سيون) وبها كانت وفاته سنة ١٤١٠هـ، وقد اشتُهر في آخر عمُرِه وكان معتقَداً كأبيه، وقُصد بالزيارة من النواحي.

ثم توجَّـه إلىٰ دار السيـد عبد القادر بن محمـد بن علي الحبشـي، ونزل الحبيـب عبد القادر إلىٰ جانب السيارة، وقابل الحبيـبَ عمر، فطلب الحبيب عمرُ منه الفـاتحـةَ وهـو في السيـارةِ واعتـذَرَ عـن الطلـوع، وقـال: حصَـلَ المقصود.

ثم توجَّـه من (سيون) قاصـداً شِبـام، وعندما مرَرْنـا في طريقنـا تحـتَ (ترِيْس) رتب الفاتحة للحبيب عبد الرحمن الجُفْري صاحب القبة، وقال عنه: إن سيـدَنا الشيخ أبو بكر بن سالم قال: أربعة فخَّطْتُّهم[١] بيدي، من جُملتهم: السيد عبد الرحمن الجُفْري المذكور، والسيد أحمد بن هاشم المقبور عند قبة الحبيب أحمد الحبشي عند مطلعِ قبة سيدنا المهاجِر.

ثم مرَرْنا علىٰ (الغرفة)، ودخـل الحبيـب الجامـعَ وتوضأ فيه، ومرَّ في المسجـد في طريقه إلىٰ زيارة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشـي، وصلىٰ في المسجد صلاة الجنازةِ علىٰ طفل أحضروه إلىٰ المسجد للصلاة عليه.

وبعدَها توجَّـه من المسجـد إلىٰ قبـة الحبيب عيدروس، وجلـس تُجـاهَ ضريحِـه وقرأ ما تيسَّر ورتـب الفاتحة، وكانت زيارةً مشهودة، وحضـرَ الزيارة أحَدُ أولاد السادة آل الحبشي، وعَرَّفَ الحبيبَ عُمَرَ عن المقبورين في القبة من أولاد الحبيـب عيـدروس وأحفاده، والشيخ عمرَ شيبـانَ المـلازم للحبيب في أغلب أوقاتِه.

ثم توجّهتِ السيارة من الغُرفة إلىٰ شِبام، ومن كلام الحبيب نفع اللّٰه به أثناء الطريق عن تعلُّق السلف بمآثر أشياخهم:

---

(١) فخّطتهم: أي لقّحتُهـم، والفخطة عند الحضـارم: اللِّقاح، والمعنىٰ: أنه اعتنىٰ بهم ورعاهم زيادةً علىٰ بقية الآخذين عنه.

«إنه بعد وفاة سيدنا الإمام العدَني وُجدَ معه صندوقٌ كبير مُحكم، فظنوا أن به دراهمَ، ففتحوه فوجدوا فيه صندوقاً آخرَ أصغرَ منه وأحْكَمَ من الأول، ففتحوه فوجَدوا فيه فَرْدة نعال ملفوفة بخرقة حرير ومكتوباً عليها: «هذه فرد نعال شيخِنا الولِيِّ سعدِ بن عليّ مدحج»».

ووصَل الحبيبُ إلىٰ سِحيل شِبامَ بعدَ خروج الناس من صلاة الجمُعة، وتناول طعام الغداءِ علىٰ مائدة السيد عبد الرحمن بن مُحسن بن حسن بن سُميط، وبات بالسِّحِيل.

وفجْرَ يومِ السبت:

قفَلَ راجعاً إلىٰ الشَّحْر ـ أمتَع اللّه بحياته ونفَع به الأُمة ـ علىٰ نفسِ السيارة التي وصل فيها من الشَّحْر، وكان في وداعه: مِن شِبام إلىٰ سيون مَنِ استقبَلَه في الغرف، وهم: الحقيرُ كاتب هذه الرحلة محمد جبران بن عوض جبران، والشيخ أبو بكر بنُ سالم باذيب، والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللّه باجرش.

وهذا ما جرىٰ به القلمُ وحضَرَ في الذهن من بعض وقائع هذه الرحلة، وإلاّ ففي الرحلة معَ هذا الحبيب العظيم نفائسُ ودُرر لا يتسع الورق لحصرها، ولكنْ «ما لا يُدرَك كله لا يُترَكُ قُلُّه»، والكاتب الحقير ليس من أهل هذا الشأن، وإنما هو كالمتطفِّل عليه، فلْيُصلح الواقفُ علىٰ ما ظهَر له مِن خلل، ولْيَعْفُ عنِ الزّلَل، واللّهَ نسألُ أن ينفع بما جَاء فيها علىٰ لسان أئمةٍ كرام، منهمُ الأسدُ الضِّرغام الحبيبُ البركةُ الإمام سيدي عمرُ بن أحمد بن أبي بكرٍ بن سُميط صاحبُ هذه الرحلة.

وصلّىٰ اللّهُ علىٰ سيّدِنا محمّد وآلِه وصحْبِه وسلّم

والحمْدُ للّه ربِّ العالمين

تمَّتْ نساخةُ هذه الرحلة بقلم كاتبِها الحقير الفقير إلىٰ اللّه الراجي مِن ربّه الرضا والغُفران: مُحمّد جبران بن عوض جُبران.

يومَ الأربعاء، بتاريخ
٢ جُمادىٰ الأُولىٰ سنةَ ١٣٨٩هـ[١]

*   *   *

(١) قلتُ: وكان الفراغُ مِن التعليق علىٰ هذه الرحلة المباركة ظُهرَ يوم الثلاثاء ١٩ مِن شهرِ ربيعِ الثاني مِن عامِ ١٤٢٠هـ. ثُمّ أعَدْتُ النظرَ فيها معَ الإضافةِ والتعديلِ في أواخر شهرِ جُمادىٰ الثانيةِ منَ العامِ نفسِه. والحمْدُ للّهِ ربِّ العالمين.

مصادر التعليقات

١ ــ «النفحـة الشِّذِيـة من الديـار الحضرميـة» و«تلبية الصوت من الحجـاز وحضرموت» للحبيب عمر بن سميط، طبعة باشيخ.

٢ ــ «التعليقـات علىٰ رحلـة الأشواق القويـة إلىٰ مواطن السادة العلويـة» تصنيف الشيخ عبد الله باكثير، للسيد عبد الله السقاف، ط: ١٤٠٥هـ باشيخ.

٣ ــ «فتح الجواد» لابن حجر الهيتمي، ط: الحلبي، ١٣٩١هـ.

٤ ــ «المغني» للخطيب الشربيني.

٥ ــ «شرح المنهاج» للإمام النووي.

٦ ــ «التمشية» و«شرح الإرشاد»، كلاهما لابن المقري اليمني.

٧ ــ «إدام القوت» لابن عبيد الله السقاف، مخطوط (بخط المصنف).

٨ ــ «التلخيص الشافي في تاريخ آل طه بن عمر الصافي» للسيد علوي بن عبد الله السقاف القاضي.

٩ ــ «الدليل المشير»، للسيـد أبي بكـر بن أحمد بن حسين الحبشي، ط: المكتبة المكية، ١٤١٨هـ.

١٠ ــ «لوامع النور» للسيد أبي بكر المشهور، ط: دار المهاجر.

١١ ــ «مقالات الكوثري»، و«الإمام الكوثري» لتلميذه أحمد خيري باشا.

مع مصادر أخرىٰ ذكرت في مواضعها، ومذكّرات خاصة، ومعلومات شخصية.

* * *

الفِهرس

الموضوع	الصفحة

❋ ❋ ❋

الرحلة السميطية

إلى الأراضي الحضرمية





دار الفتح للدراسات والنشر
www.alfathonline.com




زاوية العيدروس العلمية
بحوطة آل أبي علوي بتريم